بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة آل البيت
كلية الآداب
قسم اللغة العربية

جماليات التعبير القرآني في سورة الحج

دراسة أسلوبية دلالية

The Aesthetics of Quranic Expression in
Surat al – Hajj:
A Stylistic and Semantic Study

إعداد الطالب :

مأمون سليمان حسن أبو جقيم

الرقم الجامعي : 0420301015

إشراف الدكتور

أمين يوسف عودة

العام الجامعي : 2008 – 2009

جامعة آل البيت
عمادة الدراسات العليا
قسم اللغة العربية

جماليات التعبير القرآني في سورة الحج
"دراسة أسلوبية دلالية "

The Aesthetics of Quranic Expression in Surat al-Hajj :
"Astylistic and Semantic Study"

إعداد الطالب

مأمون سليمان حسن أبو جقيم

٠٤٢٠٣٠١٠١٥

إشراف

الدكتور : أمين عودة

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على رسالة الماجستير في تخصص اللغة العربية

أعضاء لجنة المناقشة :

الدكتور أمين عودة ..... مشرفا ورئيسا

الأستاذ الدكتور حسين خريوش ..... عضوا

الأستاذ الدكتور جهاد المجالي ..... عضوا

الأستاذ الدكتور علي البواب ..... عضوا

الفصل الدراسي الثاني للعام الدراسي ٢٠٠٨ ـ ٢٠٠٩

نوقشت وأوصي بإجازتها بتاريخ ٢٧ / ٥ / ٢٠٠٩

الشكر والتقدير

إلى والدي الذي هداني إلى الطريق

وسار معي في البدايات ...

وإلى والدتي التي سهرت طويلاً

توقد لي المصباح لأبصر في عتمة الدرب ...

وأتقدم بوافر الشكر وعظيم الامتنان للسادة العلماء أعضاء لجنة المناقشة :

الأستاذ الدكتور حسين خريوش ، والأستاذ الدكتور جهاد المجالي ، والأستاذ الدكتور علي البواب لقبولهم مناقشة رسالتي سائلاً العلي القدير أن يجعل ذلك في ميزان حسناتهم .

والشكر كل الشكر للأستاذ الفاضل الدكتور أمين عودة لتكرمه بالإشراف علي

وتقديمه لي النصح والإرشاد وكل ما يلزم لإنجاح هذا العمل المتواضع ، فبارك الله

فيه ورفع درجته في الدنيا والآخرة .

و أشكر أيضا الأستاذ محمد فهد الشرفات ، والأستاذ لافي الشرفات ، والأخ الفاضل خالد دار حمد ، والأستاذ يحيى الخضيري .

الإهداء

إلى كل من ساعدني في الوصول

وكل من وقف بجانبي وأنا بأمس الحاجة إليه

ليحقق معي هذا الانجاز

- **الشيخ سعيد العنبتاوي رحمه الله**
- **الشيخ مشرف العدلان رحمه الله**
- **أخي العزيز أبي سليمان**
- **زوجتي الغالية**

الفهرست

الـــــشكر والتقـــــدير .....
أ
الإهـــــــــداء .....
ب
قائمـــــة المحتويـــــات .....
ت
الملخـــــــــــص .....
ج
المقدمـــــــــة .....
1
التمهيـــــــــد .....
3

الفصل الأول

الحقول الدلالية ..... 7 -14
المفهوم و التطبيق

الفصل الثاني

التناسب الدلالي بين الآيات وفواصلها 15-34
مفهوم الفاصلة 16

المحور الأول :
الفاصلة المفتاحية..... 18
المحور الثاني :
الفاصلة التقابلية 23
المحور الثالث :
التناسب القبلي لفواصل الآيات..... 27
المحور الرابع :
التناسب الدلالي لفواصل الموضوعات 31

الفصل الثالث

الصورة القرآنية بنيتها الأسلوبية واتساعها الدلالي 35-55
مفهوم الصورة والاتساع الدلالي 35
أولا : بنية الاستعارة الأسلوبية واتساعها الدلالي 38
ثانيا : بنية الكناية الأسلوبية واتساعها الدلالي 48
ثالثا : أسلوب التشبيه 52
رابعا : أسلوب المجاز المرسل..... 54

الفصل الرابع

العدول الأسلوبي ودلالاته 56-74
مفهوم العدول الأسلوبي..... 56
أولا : العدول الأسلوبي في التقديم والتأخير 57
ثانيا : العدول الأسلوبي في بنية الضمائر 64
ثالثا : محور الأفعال والعدول فيها 68

الفصل الخامس

القيد والإطلاق في الأفعال 75-84
المفهوم 75
فعل الأمر 75
الفعل المضارع 79
الفعل الماضي 82

الفصل السادس

أسلوب التقابل ..... 85 -95
المفهوم..... 85
المحور الأول:التقابل بين المفردات..... 86
المحور الثاني:التقابل بين المواقف والموضوعات 89
المحور الثالث:التقابل غير المباشر 92

الفصل السابع

التضمين ..... 96 -105
المفهوم..... 96
أولا : التضمين في الأفعال 97
ثانيا : التضمين في الحروف 102

الفصل الثامن

التدرج ..... 106 - 114
المفهوم 106
أنواع التدرج :
أولا:التدرج المرحلي التكويني 107
ثانيا :التدرج البنائي المتداخل 109
ثالثا :التدرج الوجودي 110
رابعا :التدرج من الخاص إلى العام 112
خامسا :التدرج القيمي التقابلي 113
الخاتمة 115
قائمة المصادر والمراجع 116
الملخص باللغة الانجليزية 123

الملخص

تهدف دراسة سورة الحج إلى كشف جماليات التعبير القرآني فيها ، من خلال دراستها دراسة أسلوبية ، مستفيدة من مناهج البحث الأسلوبي الحديثة ،وبعد تعريف مفهوم الأسلوبية ، عالجت الدراسة الحقول الدلالية في السورة من خلال ربطها بالكلمات المفاتيح الواردة فيها ، ومن هذه الحقول : الحقل الزمني والكلمة المفتاحية فيه هي كلمة اليوم ، والحقل الديني بشقيه ، وكلماته المفتاحية هي : الإيمان ، والكفر .

ثم وضحت الدراسة التناسب الدلالي لفواصل الآيات ، من خلال الفاصلة المفتاحية ، والفاصلة التقابلية ، والتناسب القبلي لفواصل الآيات وفواصل الموضوعات ، وبعدها شرعت الدراسة في توضيح مفهوم الصورة القرآنية وكشف أنماطها التي جاءت عليها ، من استعارة ، وكناية ، وتشبيه ، ومجاز مرسل ، ولم تغفل الدراسة مفهوم العدول الأسلوبي والغايات التي أداها ، وتبيان أنماطه من تقديم وتأخير ، وعدول في بنية الضمائر والأفعال .

كما وضحت الدراسة مفهوم القيد والإطلاق ، وبينت الأفعال التي جاءت على صيغتي القيد والإطلاق ، من فعل ماض ، وأمر ، ومضارع .إضافة إلى ذلك كشفت الدراسة أنواع التقابل الوارد في السورة ، مثل التقابل بين المفردات ، والتقابل بين المواقف والموضوعات من خلال المكان ، والحلية ، واللباس ، والطعام ، وبينت الدراسة التقابل غير المباشر ، والتقابل البنائي في السورة .

وبينت الدراسة أيضا مفهوم التضمين ، وغاياته، وصوره التي جاء عليها ، من تضمين في الأفعال ، وتضمين في الحروف .

وخُتمت الدراسة ببيان أنواع التدرج في السورة ، مثل التدرج المرحلي التكويني ، والتدرج البنائي المتداخل ، والتدرج الوجودي ، وغيرها .

وقد تبنت الدراسة المنهج التحليلي الأسلوبي الدلالي ، من خلال استقراء الآيات في ظل سياقها العام وتصنيفها وتحليلها وتأويلها .

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ، فإن من يتصفح التفاسير القديمة والجديدة يجدها قد عالجت السور القرآنية جميعها ، حاملة في طياتها الجانب الأهم وهو تفسير الآيات ؛ بغية الاقتراب من المعنى الذي أراده الله عز وجل قدر الإمكان .

ولا يخفى على أحد عناية الدارسين بالجانب المعجز للقرآن الكريم ، وذلك من خلال النظر في نظمه وبيانه وتنوع أساليبه ، فكثرت الدراسات وتنوعت موضوعاتها ؛ سعياً للوصول إلى إظهار جماليات النظم القرآني ، ومدى تلاؤم الآيات وتوافقها فيما بينها .

وقد كتب غير قليل من الباحثين في بيان سور القرآن الكريم وبلاغتها ، إلا أن سورة الحج على الرغم من احتوائها على سجدتين ، بالإضافة إلى ورود الأسلوب المكي والأسلوب المدني فيها لم تحظ بدراسة أسلوبية حديثة لأساليبها التعبيرية المتنوعة ، باستثناء دراسة بعنوان" من بلاغة القرآن في سورة الحج " لحصة بنت عبد الله بن فهد الرميح ، التي عالجت سورة الحج من وجهة نظر بلاغية محضة ، وبعد الاطلاع عليها ودراستها وجدت أنها لم تدرس السورة دراسة أسلوبية دلالية ، كما أنها لم تستفد من مناهج البحث الأسلوبي الحديثة ، وهذا ما دفعني للمضي في دراستي لهذه السورة لدراستها دراسة أسلوبية دلالية ، مستفيداً من مناهج البحث الأسلوبي الحديثة .

وقد أثارت السورة تساؤلات كثيرة منها :

- هل احتواء السورة على سجدتين يجعلها تتمتع بخصوصية معينة ، وما حدود هذه الخصوصية ؟
- ما الأساليب الأكثر استعمالاً في السورة ؟
- ما الأثر الدلالي والبياني اللذان يؤديهما التئام هذه الأساليب مع بعضها بعضاً ؟
- هل ثمة تناسب بين هذه الأساليب والجو العام للسورة ؟
- هل تحتوي السورة على حقول دلالية لها ارتباط وثيق بالكلمات المفاتيح في السورة نفسها ؟ وما العلاقة الناجمة عن تناسب الكلمات المفاتيح والحقول الدلالية الواردة في السورة ؟

وقد فرضت طبيعة الظاهرة المدروسة تقسيمها إلى مقدمة ، وتمهيد ، وثمانية فصول . حيث عالج الفصل الأول الحقول الدلالية والكلمات المفاتيح ، ومن هذه الحقول : الحقل

الزمني ، وكلمته المفتاحية " يوم " ، والحقل الديني بشقيه : حقل الإيمان ، وحقل الكفر. والكلمتان المفتاحيتان فيه هما كلمتا " الإيمان ، الكفر " . كما ناقش الفصل الثاني التناسب الدلالي بين الآيات وفواصلها ، فهناك الفاصلة المفتاحية ، الفاصلة التقابلية وغيرهما . وتناول الفصل الثالث الصورة القرآنية وبنيتها الأسلوبية واتساعها الدلالي ، ودرس الفصل الرابع العدول الأسلوبي في التقديم والتأخير ، والعدول في بنية الضمائر والأفعال . كما عرض الفصل الخامس لأسلوب القيد والإطلاق في أفعال الأمر و الماضي والمضارع ، وبيّن الفصل السادس أسلوب التقابل بين المفردات ، والتقابل بين المواقف والموضوعات ، والتقابل غير المباشر . وخُصص الفصل السابع لدراسة أسلوب التضمين الواقع بين الأفعال ، والتضمين الواقع بين الحروف . وناقش الفصل الثامن أسلوب التدرج ، كالتدرج المرحلي التكويني ، والتدرج البنائي المتداخل ، والتدرج الوجودي ، والتدرج من الخاص إلى العام .

أما المنهج الذي تبنته الدراسة فهو منهج التحليل الأسلوبي الدلالي الذي اعتمد الطرائق الإجرائية الآتية : استقراء الآيات في ظل سياقها العام والخاص ، ورصد المنبهات الأسلوبية ، ثم تصنيفها وتوزيعها وإحصائها ، وبعد ذلك تحليلها وتأويلها .

وانتهت الدراسة بخاتمة حوت نتائج الدراسة ، ومن هذه النتائج : تنوع الحقول الدلالية في السورة ، و تلاؤمها وتناسبها فيما بينها محققة مقصد السورة وهو التقوى .

تنوع الكلمات المفاتيح ومدى ترابطها مع الحقول الدلالية ، من خلال علاقة الترادف ، وعلاقة الاشتمال ، وعلاقة الجزء بالكل .

قيام السورة على مبدأ التقابل والتضاد ، وذلك تناسباً مع ورود السجدتين ، وورود الأسلوب المكي والمدني فيها.

وأتقدم بوافر الشكر وعظيم الامتنان لأعضاء لجنة المناقشة : الأستاذ الدكتور حسين خريوش ، و الأستاذ الدكتور جهاد المجالي ، و الأستاذ الدكتور علي البواب ، الذين شرفوني وتفضلوا عليّ بجعل هذه الدراسة موضع عنايتهم واطلاعهم ،سائلاً الله العلي القدير أن يجزيهم عني خير الجزاء . كما أتقدم بالشكر الجزيل للدكتور الفاضل أمين عودة لما أمدّني به من عون ومساعدة في إنجاز هذا العمل المتواضع .

والله ولي التوفيق .

التمهيد

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين . يهدف هذا البحث إلى دراسة سورة الحج دراسة أسلوبية دلالية ، تهدف إلى محاورة الآيات ،ومحاولة الكشف عن جماليات التعبير القرآني فيها ، متخذاً المنهج الأسلوبي التحليلي وسيلة له ، وذلك لأن الأسلوبية تسعى إلى دراسة النص باعتباره نسيجاً لغوياً دالاً ، مع مراعاة سياقه العام والخاص . وتتجلى أهمية التحليل الأسلوبي في أنه يدرس الأثر الأدبي ضمن مستوياته الثلاثة : التركيبية ، والدلاليّة ، والصوتيّة ، بمعزل عمّا يُحيط بالنص من ظروف سياسية أو اجتماعية أو غيرها ، فمجال عمل الأسلوبية النص فحسب .

والباحث الأسلوبي يسعى إلى تمييز الاختيارات والانحرافات في النص لأنها هي "المفاتيح التي تمكنه من الولوج إلى العالم الشعوري الكامن وراء القطعة الأدبية" [1] ، ولا يعني هذا أن الأسلوب هو الانحراف والاختيار فقط ، بل تعددت آراء الباحثين والدارسين في تعريف الأسلوب ؛ لاختلاف نظرتهم ، فمنهم من يراه ككيزر وشتايجر " ظاهرة داخلية في النص ، ينبغي تحليله من خلال العمل الأدبي نفسه "[2].

ورأى آخرون أن الأسلوب انعكاس للشخصية ، فهو ظاهرة لغوية تُطبع بفردية المؤلف وشخصيته ، فالتعبيرات اللغوية تمثل فكر المؤلف ، وتعكس واقعه الاجتماعي والاقتصادي ، بمعنى أن الأسلوب هو الكاتب أو الإنسان[3] ، وما يصدر عن الكاتب هو صورة لواقعه ولفكره ، ولخواصه النفسية[4] ، وحصر الأسلوب بهذا التعريف يجعله قاصراً عن تقديم مناهج لغوية يمكن استعمالها في الدراسة الأدبية ، كما أنه يجعل الأسلوب عبارة عن وسيلة لاستنباط بواعث الإبداع الفردي .

وهذا القول يدفعنا إلى توضيح من رأى الأسلوب دراسة العاطفة في الكلام الشائع ومنهم شارل بالي الذي درس النص من خلال مضامينه الوجدانية العاطفية[5] ، بمعنى أن الأسلوبية طريقة التعبير عن وقائع العاطفة باللغة ، وأثر الوقائع اللغوية على العاطفة[6]

---

[1] - شكري عياد ، مدخل إلى علم الأسلوب ، الطبعة الأولى ، دار العلوم للطباعة والنشر ، الرياض – السعودية ، 1982 ، ص 46

[2] - حسام محمد أيوب " الأسلوبية في إطارها النظري " مجلة جرش الثقافية / العدد التاسع والعاشر ، 2008 ، ص 5 .

[3] - كراهم هاف ، الأسلوب والأسلوبية ، ترجمة كاظم سعد الدين ،العدد الأول ، دار آفاق عربية ، بغداد – العراق ، 1985 ، ص 20

[4] - صلاح فضل ، علم الأسلوب ، مبادئه وإجراءاته ، الطبعة الثانية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1985 ص 74 .

[5] - صلاح فضل ، علم الأسلوب ، المرجع السابق نفسه ، ص 15 .

[6] - انظر بيير جيرو ، الأسلوب و الأسلوبية ، ترجمة منذر عياشي ، مركز الإنماء القومي ، بيروت – لبنان ، بلا ط ، ولا ، ت ، ص 34

فالأسلوب عندهم مجموعة من عناصر اللغة المؤثرة عاطفياً على المستمع أو القارئ، ومهمة علم الأسلوب " البحث عن القيمة التأثيرية لعناصر اللغة المنظمة والفاعلية المتبادلة بين العناصر التعبيرية التي تتلاقى لتشكيل نظام الوسائل اللغوية المعبرة "[1] . وهو عند بالي " العلم الذي يدرس وقائع التعبير اللغوي من ناحية محتواها العاطفي أي التعبير عن واقع الحساسية الشعورية من خلال اللغة وواقع اللغة عبر هذه الحساسية "[2] .

ويرى آخرون ومنهم ستاندال أن الأسلوب عنصر إضافي يتم تزيين النص به كحلية لشكله وصياغته ، فالأسلوب عبارة عن قشرة تُحيط بالفكر ، و هو زينة للنواة الأساسية للقول[3] .

وأشار أوهمان إلى أن الأسلوب اختيار بين مجموعة من البدائل والإمكانيات ، والاختيار قد يكون بقصد توصيل مقصد جمالي ، و قد يكون اختياراً لموضوع يُراد التكلم عنه ، فيلجأ للمترادفات اللغوية فيه فيختار منها ما يشاء مستعيناً بالشيفرة اللغوية ، وهي اللغة أو اللهجة التي يريد التحدث بها ليوصل الفكرة من خلالها ضمن الاختيار النحوي للأبنية اللغوية التي تخضع لقواعد نحوية إجبارية ؛ ليحقق تعبيرات اختيارية متعادلة دلالياً ، وبهذا فالأسلوب هو الاختيار الناتج عن انتخاب واع في إطار واضح[4] .

وعرف آخرون الأسلوب بأنه انحراف[5] وهو الخروج عن القاعدة النحوية أو العدول عنها ، ويُقصد بالقاعدة النحوية القوانين اللغوية والنحوية الصارمة التي اصطلح عليها أهل اللغة ، وهي تندرج تحت ما يُسمّى بالمستوى العادي للغة ، والمستوى الآخر هو المستوى المنحرف وهو ما يجور على النظام اللغوي المألوف[6] ، وتتجلى جماليات الانحراف في الغايات التي يحققها إضافة إلى ما يحققه للقارئ من صدمة أثناء قراءته ،أو هزة سماعية غير متوقعة .

والانحراف قد يكون اختياريا لغايات فنية وجمالية يهدف إليها ؛ كالإثارة الذهنية ، أو التشويق العقلي ، أو لفت الانتباه ، أو التأكيد ، وقد يكون الانحراف اضطرارياً كما يحدث

---

[1] - صلاح فضل ، علم الأسلوب ، المرجع السابق نفسه ، ص 75 .
[2] - المرجع السابق نفسه ، ص 15 .
[3] - صلاح فضل ، علم الأسلوب ، المرجع السابق نفسه ، ص 76 ، وانظر : شفيع السيد ، الاتجاه الأسلوبي في النقد الأدبي ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، بلا طبعة ، ولا تاريخ ، ص 141 .
[4] - صلاح فضل ، علم الأسلوب ، مرجع سابق ، ص 88 ، وما بعدها ، وانظر شفيع السيد ، الاتجاه الأسلوبي في النقد الأدبي ، مرجع سابق ، ص 132 – 133 .
[5] - شفيع السيد ، الاتجاه الأسلوبي في النقد الأدبي ، مرجع سابق ، ص 138.
[6] - فتح الله سليمان ، الأسلوبية ، مدخل نظري ودراسة تطبيقية ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، 2004 ، ص 21

للشاعر عند مراعاته للوزن والقافية ، ومن الخروج على العُرف اللغوي تتشكل ما يُسمّى بالخاصية الأسلوبية[1] .

من التعريفات السابقة يتبيّن أن الأسلوب يدور حول الاختيار ، أو الاستبدال ، أو الانحراف . وقد يكون الأسلوب قوة ضاغطة على المتلقي ، أو وصفاً للنص بمعزل عن المؤثرات الجانبية . أما الأسلوبية فهي الدراسة العلمية للأسلوب[2] ، وهي بلاغة حديثة ذات شكل مضاعف لأنها علم التعبير ونقد للأساليب الفردية[3] ، والأسلوبية فرع من علم اللغة لأنها تُعنى بإمكانات عناصر اللغة التعبيرية عند تحليل النص ، إضافة إلى التمييز بين مستويات اللغة الثلاثة وهي : المستوى الصوتي ، و المستوى المعجمي ، و المستوى التركيبي ، كما تهتم الأسلوبية بدراسة الخصائص اللغوية التي يتحول بها الخطاب عن سياقه الإخباري إلى وظيفته التأثيرية عبر دراسة الوسائل الأسلوبية المتنوعة كالصور الفنية والإيقاع وغيرها .

وللبحث الأسلوبي اتجاهات متعددة منها :

1 – الأسلوبية التعبيرية :

رائدها شارل بالي الذي اهتم باللغة الانفعالية الشعورية لأنها " تدرس وقائع التعبير اللغوي من ناحية مضامينها الوجدانية "[4]، بمعنى أنها تركز على التأثيرات العاطفية والعوامل المؤثرة فيها ، والخطاب عند بالي إما خطاب حامل لذاته ليس فيه انفعالات شعورية ، وإما خطاب حامل للعواطف مملوء بالانفعالات الشعورية[5] .

والقيم التعبيرية في هذا الاتجاه ثلاث هي :القيمة المفهومية أو العامة ، والقيمة التعبيرية ، والقيمة الانطباعية أو القصدية ،والقيمتان الأخيرتان تمثلان عنده قيَماً أسلوبية[6] .

2 – الأسلوبية التكوينية :

رائدها شبتسر ، ويرى أن " السمات الأسلوبية يمكن أن تتلاقى وأن تفسر بوساطة الخصائص النفسية التي تثيرها ،فاللغة الأدبية تتمثل بكثافة المجاز والعدول لا بسبب المعطيات الشكلية التي ترد عليها بل إنها تترجم بصورة خاصة عن أصالة روحية ، وعن قدرة إبداعية متفردة "[7].

---

[1] - المرجع السابق نفسه ص 21 .
[2] - موريس أبو ناصر " الأسلوب وعلم الأسلوب "مجلة الثقافة العربية الليبية ، العدد 9 ، سنة 1975 ، ص40 .
[3] - بيير جيرو ، الأسلوب و الأسلوبية ، ترجمة منذر عياشي ، مركز الإنماء القومي ، بيروت – لبنان ، بلا ط ، ولا ، ت ، ص 5
[4] - المرجع السابق نفسه ، ص 34
[5] - المرجع السابق نفسه ، ص 37 – 38
[6] - المرجع السابق نفسه ، ص 33
[7] - حسام محمد أيوب " الأسلوبية في إطارها النظري " مجلة جرش الثقافية / العدد التاسع والعاشر ، 2008 ،ص 12 .

3 – الأسلوبية الوظيفية :

أبرز روادها ياكبسون وريفاتير ، اللذان درسا العلاقات الوظيفية النفعية للعناصر التي تُكوّن الأسلوب معتمدين المعايير التي جاءت بها اللسانيات الحديثة [1].

تُعدّ الأسلوبية الوريث الشرعي للبلاغة القديمة ، وتختلف عنها في أنها تتحري " العلاقة بين جميع العناصر الجزئية ، ويمكن التوصل إلى العلاقة الكاملة بوساطة دمج جميع هذه العلاقات الجزئية"[2] ، إضافة إلى أن الأسلوبية تنشأ مع نشوء النص ، بعكس البلاغة التي تُعد زينة للنص ؛ لأنها تتشكل بعد تشكله، كما تخضع البلاغة القديمة لمبدأ الذاتية والانطباعية عند الحكم على النص وتختلف من ناقد لآخر ، بعكس الأسلوبية التي تتبع مناهج وقوانين محددة أقرب إلى الموضوعية في الحكم على العمل الأدبي . والبلاغة القديمة تعالج المفردة بمعزل عن السياق الواردة فيه ، أما الأسلوبية فتدرس النص كاملاً وتفحص أجزاءه مع ربطه بالسياق العام وتنظر إلى النص على أنه "كيان لغوي واحد بدواله ومدلولاته ، ولا مجال للفصل بينهما أو لبحث أحد الجانبين دون الآخر بحيث أن أولهما مفضٍ على الآخر "[3] ، أما البلاغة القديمة فقد قامت على ثنائية الأثر الأدبي ، بمعنى الفصل بين الشكل والمضمون .

ومن الوسائل التي تعتمدها الأسلوبية ترتيب الكلمات ، والتكرار ، والأنماط الموسيقية ، والاستعارة ، والرمز والصورة ...وغيرها ، وقد يحظى بعض هذه الوسائل باهتمام أكثر مما يحظى به غيره ، كما أن بعضها قد يكون أكبر مجالاً وأوسع مدى من سواه ، إلا أنه قد تبين أن أي سمة أسلوبية تبرز بروزاً حقيقياً لدى كاتب معين يمكن أن تكون مفتاحاً إلى نهجه الجمالي[4]. ويتم رصد هذه السمات والانحرافات باستعمال مبدأ الإحصاء ؛ لأنه هو " العلم الذي يدرس الانزياح ، والمنهج الذي يسمح بملاحظتها وقياسها وتأويلها "[5]

---

[1] - حسام محمد أيوب " الأسلوبية في إطارها النظري " مجلة جرش الثقافية ، العدد التاسع والعاشر ، 2008 ،ص14

[2] - كراهام هاف ، الأسلوب و الأسلوبية ،مرجع سابق ، ص 84

[3] - فتح الله سليمان ، الأسلوبية ، مدخل نظري ودراسة تطبيقية ، مرجع سابق ، ص 32

[4] - شفيع السيد ، الاتجاه الأسلوبي في النقد الأدبي ، مرجع سابق 152 .

[5] - بيير جيرو ، الأسلوب والأسلوبية ، مرجع سابق ، ص 5 .

الفصل الأول

الحقول الدلالية

تنوعت موضوعات سورة الحج ، وذلك لتنوع الأهداف التي تقصدها . ومن أجل كشف الأهداف وتوضيحها لوحظ أن السورة قد حشدت ألفاظا متعددة مترابطة فيما بينها ضمن هذه الموضوعات ، وروعي في هذه الموضوعات - رغم تنوعها - الانسجام والتناسب فيما بينها وبين الألفاظ المستعملة فيها ، فمن يُمعن النظر ، ويُديم التأمل فيها يجد أن بعض هذه الألفاظ تتآزر فيما بينها لتشكل حقلاً معيناً ، يسمى في الدراسات الحديثة بمصطلح الحقل الدلالي[1] ، ولا يعني هذا أن مصطلح الحقل الدلالي لم يكن له أصول في أدبنا العربي القديم ، فثمة كتب درست موضوعات معينة ، وأدرجت مجموعة من الكلمات ذات الترابط المشترك فيما بينها ، كما قامت بتقسيم هذه الألفاظ المشتركة ، وأدرجت تحت ما يناسبها من موضوعات ، فمن هذه الموضوعات نجد مثلاً أن الأصمعي قد ألّف كتبا اشتملت على أنواع معينة من الحيوانات ، مثل كتاب الإبل وكتاب الخيل وكتاب النبات ، و كان لأبي زيد الأنصاري كتب شملت موضوعات محددة مثل كتاب المطر .

ولم يقتصر الأمر عند هذا الحد ، فقد ظهرت معاجم جاءت على نمط الحقول الدلالية وهي معاجم المعاني ، من مثل معجم الغريب المصنف لأبي عبيد وفقه اللغة وسر العربية للثعالبي ، والمخصص لابن سيده ، وغيرها من المؤلفات .

تعالج الحقول الدلالية العلاقات القائمة بين ألفاظ تشترك فيما بينها بنوع من الترابط ، وهذه العلاقات قد تكون منظومة علاقات صغرى تتلاقى وتتآلف مع منظومة أكبر تجمعها لتشكل الفكرة الأبرز في الموضوع ، بمعنى أن مصطلح الحقول الدلالية يقوم على تبني فكرة العلاقات القائمة بين أجزاء الكلام وكشف نوعية الترابط .

ويمكن تعريف الحقل الدلالي بأنه " مجموعة من الكلمات التي ترتبط دلالاتها وتوضع عادة تحت لفظ عام يجمعها "[2] .

---

[1] - حسام البهنساوي ، التوليد الدلالي ، دراسة للمادة اللغوية في كتاب شجر الدر لأبي الطيب اللغوي في ضوء نظرية العلاقات الدلالية ، الطبعة الأولى ، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة ، 2003 ، ص 15 .

[2] - حسام البهنساوي ، التوليد الدلالي ، المرجع السابق نفسه ، ص 15 .

ومن منطلق هذا المعنى العام الذي يجمع الكلمات ، يمكن تصنيف كل كلمات اللغة أو أكثرها في مجموعات ينتمي كل منها إلى حقل دلالي معين[1] ، لأن كلمات اللغة لا تعيش بمعزل عن بعضها بعضاً ، بل ترتبط فيما بينها بعلاقات دلالية ، كالتضاد ، والترادف ، والاشتراك اللفظي [2] .

وهذا الكلام يقودنا إلى توضيح مصطلح آخر شديد الصلة بالحقول الدلالية وهو ما يسمى بالكلمات المفاتيح ، وهي " ظاهرة لغوية فنية في العمل الإبداعي ، وهي تمثل الإشارات الإضائية الكاشفة للناقد ليسير في طريقه القرائي ، وتأتي من تفاعل جزئية متكررة مع سياقها "[3] ، بمعنى أن هنالك كلمات تتمتع بمعدل تكرار لدى مؤلف معين[4] ، فتكرار هذه الكلمات يُضفي عليها أهمية خاصة في تشكيل أسلوب النص وفي تفسيره ، كما وتكمن أهمية الكلمات المفاتيح في ثلاثية الصورة والتركيب والإيقاع [5]، وبهذا يُلحظ أن الكلمة المفتاح لها ترابط كبير داخل الحقل الدلالي، فهي تمثل الكلمة الرئيس في الحقل ، ويندرج تحتها ما يمكن تسميته بالكلمة الهامشية ، لأن الكلمة الرئيس الواردة في الحقل الدلالي يجب أن تعامل بوصفها جزءًا من السياق الذي ترد فيه ، لأن معناها يتحدد ضمن بقية عناصر الجملة التي هي جزء منها[6] ، وهذا لا يعني إغفال الجوانب الأخرى ، كالتراكيب النحوية ، والوظيفة التي تؤديها .

بقي أن نشير قبل الخوض في توضيح حقول السورة الدلالية ، إلى القول إن الحقول الدلالية لا تنفصل عن بعضها بعضًا بالضرورة ، بل على العكس فقد تكون بعض هذه الحقول مندرجة تحت حقول أكبر وهكذا [7].

من الحقول الدلالية الواردة في السورة :

أولاً: الحقل الزمني

ويقصد به جميع الألفاظ أو الكلمات الدالة على الزمن التي تندرج في ضمنه ، فمن هذه الألفاظ : الساعة ، اليوم ، السنة ، العمر ، أيام ، أجل مسمى ، الليل ، النهار ، الدنيا ،

---

[1] - أحمد عارف حجازي ، الحقول الدلالية في القراءات القرآنية الصحيحة ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط 1 ، 2007 ، ص 11

[2] - المرجع السابق ذاته ، ص 11 .

[3] - شوقي علي الزهرة ، جذور الأسلوبية من الزوايا إلى الدوائر ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ص 105.

[4] - صلاح فضل ، علم الأسلوب ، مبادئه وإجراءاته ، مرجع سابق ، ص 208 .

[5] - شوقي علي الزهرة ، جذور الأسلوبية من الزوايا إلى الدوائر ، مرجع سابق ، ص 71 .

[6] - أحمد عارف حجازي ، الحقول الدلالية في القراءات القرآنية الصحيحة ، مرجع سابق ، ص 15 .

[7] - أحمد عارف حجازي ، الحقول الدلالية في القراءات القرآنية الصحيحة ، المرجع السابق نفسه ، ص 16 .

الآخرة ، والكلمة التي تتآزر مع هذا الحقل هي كلمة "يوم" ، والعلاقة الرابطة بين الكلمة المفتاح " يوم " والكلمات الأخرى ضمن حقل الزمن جاءت على نمطين هما :

1- علاقة الجزء بالكل [1]

ويقصد بهذه العلاقة أنّ هناك جزئية صغيرة تندرج ضمن جزئية أكبر، فالساعة جزء من النهار ، والنهار جزء من اليوم ، واليوم جزء من الأيام ، والأيام تشكل السنة ، والسنة جزء من العمر ، فالملاحظ أن هذه الكلمات تترابط فيما بينها لتشكل علاقة الجزء بالكل ، يُضاف إلى ذلك أن هذه الكلمات تتناسب مع سياقات السورة ، و بالأخص السياق الوارد في الحديث عن عبادة الحج ، فالحج كما هو معلوم له وقت محدود ومبين لا يجوز تجاوزه .

ويُلحظ أيضا أن لفظ اليوم والسنة جاءا متناسبين مع الآية التي ورد فيها لفظ العد وهي قوله تعالى : "**يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ** "[2] ، كما يُفهم من ذلك أن الإنسان يخضع في حياته لمبدأ الزمن ، أي إنه يعيش في فترة زمنية محددة له من الله ، وأعماله في هذه الفترة هي التي توضح عاقبته في النهاية .

2- **علاقة الترادف** [3]

ويقصد به مجموعة كلمات تدل كلها على معنى واحد[4] ، فمن الألفاظ التي جاءت ضمن علاقة الترادف في الحقل الزمني : " يوم القيامة والساعة والآخرة ويوم عقيم " ، وقُصد باليوم العقيم يوم القيامة[5] ، فكل هذه الألفاظ تدل على أن هناك يوماً يحاسَب فيه الناس إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر ، وهذا اليوم هو يوم القيامة ، وبقية الأسماء الأخرى مرادفة له في المعنى .

---

[1] - حسام البهنساوي ، التوليد الدلالي ، مرجع سابق ، ص 19 وما بعدها ، وانظر، أحمد عارف حجازي ، الحقول الدلالية، مرجع سابق ، ص 18 .

[2] - الحج 47 .

[3] - أحمد عارف حجازي ، الحقول الدلالية في القراءات القرآنية الصحيحة ، مرجع سابق ، ص 18 ، وانظر حسام البهنساوي ، التوليد الدلالي ، مرجع سابق ، ص 19 وما بعدها .

[4] - أحمد عارف حجازي ، الحقول الدلالية في القراءات القرآنية الصحيحة ، مرجع سابق ، ص 18 .

[5] - ابن عطية ، تفسير ابن عطية المسمّى المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، تحقيق وتعليق عبد الله بن إبراهيم الأنصاري والسيد عبد العال السيد إبراهيم ، الطبعة الأولى ، الدوحة ، 1988 ، الجزء العاشر ، ص 310 .

ثانياً : حقل الجزاء

ويقصد به الألفاظ التي تتشارك فيما بينها لتشكل الجزاء الأخروي للإنسان ، ويندرج تحت هذا الحقل حقلان أصغر منه ، حيث يتآزر هذان الحقلان ليشكلا معا الحقل الرئيس .
والحقلان اللذان يندرجان تحت حقل الجزاء هما :

أ- **حقل النعيم** : والكلمة المفتاحية في هذا الحقل كلمة " **النعيم** " :

والآيات التي حوت ألفاظ حقل النعيم هي قوله تعالى : "**إِنَّ اللهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ إِنَّ اللهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ**" * " **إِنَّ اللهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ القَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الحَمِيدِ** " * " **فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ، وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ**" [1].

ويقصد بالنعيم الجزاء الحاصل للمؤمنين في الجنة ، ومن الألفاظ الدالة عليها الألفاظ التالية : جنات ، وأساور ، ولؤلؤ ، ولبس الحرير ، وجريان الأنهار ، والمغفرة ، والنعيم ، والرزق الكريم ، والرزق الحسن ، والكلمة المفتاح التي تأتي ضمن هذا الحقل ، هي كلمة النعيم ، فالتحلية باللؤلؤ والذهب والحرير والرزق كلها صور من صور النعيم ، والعلاقات التي ترتبط بها هذه الألفاظ هي كالتالي :

1- **علاقة الجزء بالكل** :

فلبس الحرير جزء من النعيم ، والتحلية بالأساور المصنوعة من الذهب ، واللؤلؤ جزء من النعيم أيضًا ، والرزق الكريم جزء من النعيم ، كما أن الرزق الحسن جزء من النعيم أيضًا، فهذه الأجزاء تتآزر فيما بينها لتحقق النعيم الكامل .

2- **علاقة الاشتمال** [2]

وتتوضح هذه العلاقة من خلال اشتمال الجنة على النعيم ؛ لأنها المكان الذي يشمل كل أنواع النعيم ، ومنها الرزق الحسن والرزق الكريم المتحصل فيها ، فالنعيم يشمل كل

---

[1]- الحج الآيات : 14 ، 23 ، 24 ، 50 ، 58 .

[2] - أحمد عارف حجازي ، الحقول الدلالية في القراءات القرآنية الصحيحة ، مرجع سابق ، ص 18 ، وانظر حسام البهنساوي التوليد الدلالي ، ، مرجع سابق ص 19 وما بعدها .

الكلمات التي تدل على التنعم والخير الذي يحصل عليه المؤمن في الجنة ، والجنة تشتمل على النعيم وما يشمله النعيم أيضاً.

ب- **حقل العذاب** : والكلمة المفتاحية في هذا الحقل " **العذاب** " ويقصد به :

الحقل الذي يشمل ألفاظ العذاب والشدة المتحصله للكافرين في الآخرة ، ومن هذه الألفاظ " العذاب ، والسعير ، والخزي ، والحميم ، والغم ، والنار ، والحريق ، والخسران ، وثياب النار ، والصهر ، والجحيم ، ومقامع الحديد " ، والعلاقات التي تربط بين هذه الألفاظ وتجمعها :

1- **علاقة الجزء بالكل** :

ومن الألفاظ التي جاءت علاقتها ضمن علاقة الجزء بالكل : الخزي ، فهو جزء من العذاب ، والجزاء، جزء من العذاب أيضا ، والغم المتحصل في النار جزء من العذاب ، كما أن الصهر ومقامع الحديد التي يُضرب بها الكفار في النار هي أجزاء من عذاب الكافر. فهذه العلاقات تتآزر فيما بينها لتشكل الصورة النهائية للكافر المتعذب في النار .

وتبرز علاقة جديرة بالاهتمام عندما ننظر إلى حقلي النعيم والجحيم اللذين يشكلان حقل الجزاء، والعلاقة التي تربط هذين الحقلين هي علاقة التنافر [1] . ويقصد بالتنافر التناقض وعدم التماثل، وبروز مبدأ الضدية والتقابل ، فالنعيم يتنافر مع الجحيم، والحميم الذي يقطع الأحشاء يتنافر مع الأنهار التي تجري في الجنة، وثياب النار تتنافر مع لبس الحرير ، والجدول الآتي يوضح هذه العلاقة .

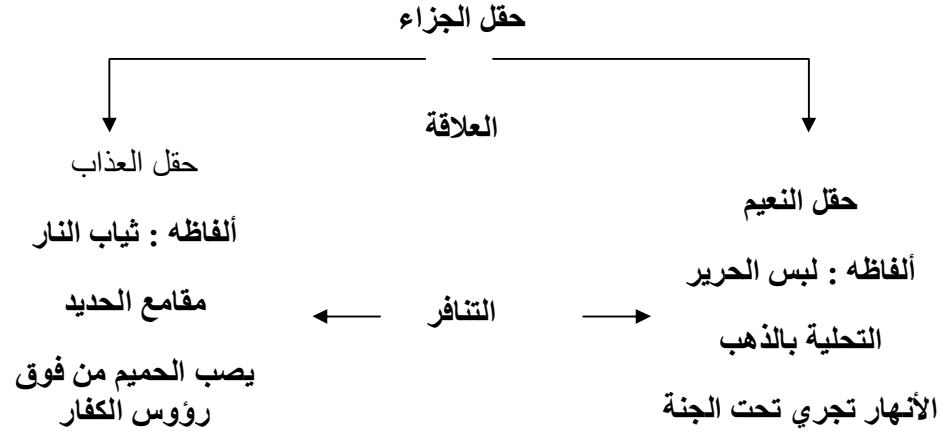

[1] - أحمد عارف حجازي ، الحقول الدلالية في القراءات القرآنية الصحيحة ، مرجع سابق ، ص 18 ، وانظر حسام البهنساوي ، التوليد الدلالي ،مرجع سابق ، ص 19 وما بعدها

2- علاقة الترادف :

من الألفاظ التي جاءت تجمعها علاقة الترادف العذاب ، والحريق ، والجحيم ، والنار ، والسعير ، فهذه كلها تدل على جزاء الكافر، فالنار هي الجحيم وهي السعير .

ثالثاً: الحقل الديني

ويقصد به الألفاظ الدينية الواردة في السورة . ينقسم هذا الحقل إلى حقلين آخرين مكونين له وهما :

1- **حقل الإيمان** : والكلمة المفتاح فيه " **الإيمان** "

ويقصد به الألفاظ التي تدل على الإيمان من مثل التقوى والإحسان والإخبات[1] والصبر والاعتصام بالله والسجود والركوع والإيمان والإنفاق والصلاة وعمل الصالحات والذكر والجهاد . والعلاقات القائمة بين هذه الألفاظ ضمن هذا الحقل هي :

أ- **علاقة الجزء بالكل** :

وتتجلى هذه العلاقة بين المفردات كالتالي : السجود والركوع جزء من الصلاة، والصلاة جزء من الذكر، والذكر جزء من التقوى، والتقوى هي الكل الذي يحوي هذه الأجزاء.كما أن الإنفاق جزء من عمل الصالحات ، والذكر جزء من عمل الصالحات ، والصالحات جزء من الإيمان ، فمن أراد التحصل على الإيمان عليه بعمل كل الأجزاء التي تؤدي إليه .

ب- **علاقة الاشتمال**:

يشمل الحج الشعائر، والشعائر تشمل الطواف، كما أن عمل الصالحات يشمل الإنفاق، والصلاة تشمل الركوع والسجود وهكذا.

2- حقل الكفر : والكلمة المفتاح فيه " الكفر "

---

[1] - * المخبتون بمعنى المطمئنون ، أو المتواضعون ، أو هم الراضون بقضاء الله ، وأصله كما قال الراغب : نزول الخبت وهو المطمئن من الأرض . انظر الألوسي ، روح المعاني ،دار الفكر ، بيروت ص 154 ، ج 9 ، و محمد الظاهر ابن عاشور ، تفسير التحرير والتنوير ،الدار التونسية للنشر ، 1984 ، بلا ط ، ج 16 ، ص 260 – 261 .

ومن الألفاظ التي تندرج ضمنه : الشرك والظلم والأوثـــان والكفـــر والخيانـــة وقـــول الزور، والصد عن سبيل الله، والعلاقات التي تنتظم هذا الحقل هي:

أ - علاقة الجزء بالكل :

فالصدّ عن سبيل الله جزء من الظلم، والظلم جزء من الكفر، والشرك جزء من الكفـــر، فهذه الألفاظ يتعانق بعضها مع بعض لتصوّر لنا صورة الكفر من خلال أجزائـــه المكونـــة له.

ب - علاقة الترادف:

فالكفر والشرك والظلم وقول الزور كلها تفضي إلى كفران نعمة الله .

والعلاقة البارزة والرابطة بين حقلي الكفر والإيمان اللذين يشكلان الحقل الديني هي علاقـــة التنافر ، ولبيان ذلك ندرج الرسم الآتي :

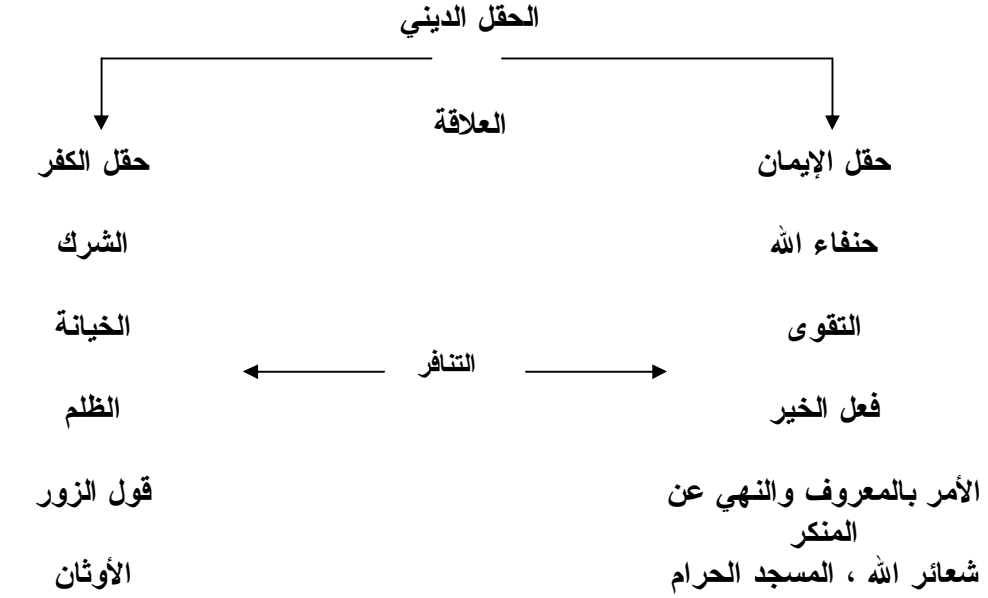

رابعاً : حقل أصناف الناس : والكلمة المفتاحية فيه هي : " الناس "

ويضم هذا الحقل صنفين من الناس يقع كل صنف ضمن حقل معين من حقلين هما :

1- **حقل المؤمنين**:

ويندرج تحته المفردات التالية " الطائفون والقـــائمون والركـــع الـــسجود والمخبتـــون والصابرون والمحسنون والمسلمون ".

والعلاقة التي تربط بين هذا الصنف من الناس هي علاقة الاشتمال .

2- **حقل الكافرين**:

ويندرج تحته المتكبر والمتشكك بالله والمجوس والمشركون والخوّان والظالمون.

والعلاقة الرابطة بين ألفاظ هذا الصنف هي علاقة الترادف أيضاً، كما تجدر الإشارة إلى أن العلاقة التي تربط حقلي المؤمنين والكافرين ضمن حقل أصناف الناس هي علاقة التنافر.

والسبب في عدم الإطالة والتفصيل في هذين الحقلين هو أننا تحدثنا في حقلي الكفر والإيمان عن العلاقات الرابطة بينهما وتوضيحها ، ولشدة الشبه بين علاقات حقلي الكفـــر والإيمـــان وحقلي الكافرين والمؤمنين ، ارتأينا الإشارة والاختصار كما أسلفنا سابقاً .

الفصل الثاني

التناسب الدلالي بين الآيات وفواصلها

شغل موضوع الفاصلة غير قليل من المفسرين والمشتغلين بعلوم القرآن الكريم ؛ لما تتميز به الفاصلة القرآنية من جماليات تسترعي نظر القارئ والمتدبر لكتاب الله ، إضافة إلى تنوعها ، حيث أنها تتخذ أشكالاً عدة ؛ لتبين المعنى المراد وتحقق البُعْد الجمالي.

ولا يخفى ما للفاصلة من إيقاع موسيقيّ جميل ، ناهيك عن تناسبها مع محور الآية التي تختمها ، في ظل تناسبها مع الموضوع الذي تعالجه وسياق الآيات ، وجو السورة العام.

وعلى الرغم من كثرة المؤلفات التي عالجت موضوع الفاصلة فإنه يُلحظ على بعضها كالبرهان للزركشي ، والإتقان للسيوطي ، ومناهل العرفان للزرقاني ، أنها عالجت موضوع الفاصلة وتناسبها على نحو مجمل في القرآن الكريم كاملا ، ولم تفرد للسورة الواحدة دراسة مستقلة متخصصة .

كما أنها تحدثت عن التفريق بين الفاصلة والسجع ، وناقشت مسألة السجع في القرآن . ومن المؤلفات الأخرى التي عالجت موضوع الفاصلة وتناسبها كتاب : الفاصلة في القرآن لمحمد الحسناوي ، وكتاب : من أسرار التعبير في القرآن -الفاصلة القرآنية - لعبد الفتاح لاشين ، وكتاب : من أسرار المغايرة في نسق الفاصلة القرآنية لمحمد الخضري ، حيث لوحظ عليها أنها لم تخصص دراسة مستقلة لسورة بعينها من سور القرآن ، بل اكتفت بضرْب الأمثال والشواهد وأشارت إلى مسألة السجع .

وأما كتاب نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي فأظن أنه قد فاقها في موضوع الفاصلة ، حيث عالج تناسب فواصل آيات سور القران الكريم ، دون توضيح لأنواع هذه الفواصل . وأظن أن هذا الكتاب قد وضع البدايات الأولى لكشف تناسب فواصل الآيات مع بعضها بعضا . ويلاحظ عليه وعلى غيره من المؤلفات السابقة أنها لم تفرد فصولا في تناسب آيات الموضوع الواحد في السورة ، إضافة إلى أنها لم تعالج موضوع الفاصلة التقابلية في السورة ، وموضوع الفاصلة المفتاح والتناسب الدلالي لفواصل

الموضوعات ، وهذا ما قامت به هذه الدراسة في هذا الفصل .حيث جاءت محاولة الكشف عن جماليات تناسب الآي وفواصل سورة الحج بعضها مع بعض .

مفهوم الفاصلة :

الفاصلة لغة من الفصْل ، " والفصْل : بوْن ما بين الشيئين ، ومن الجسد موضع الفصْل ، والفصْل الحاجز بين الشيئين ، والفاصلة الخرزة التي تفصل بين الخرزتين في النظام ... "[1] ، ومن معانيها أيضا " الفصْل والقضاء بين الحق والباطل كما أن الفصل يوم القيامة ، قال عز وجل : " وما أدراك ما يوم الفصل "[2] ،ومنها فصّلت الوشاح ، إذا كان نظمه مفصّلاً بأن يجعل بين كل لؤلؤتين مرجانة، أو شَذَرة ، أو جوهرة تفصل بين اثنين من لون واحد".[3] ،"وأواخر الآيات في كتاب الله فواصل بمنزلة قوافي الشعر – جل كتاب الله عز وجل – واحدتها فاصلة ، وقوله عز وجل "كتاب فصّلناه "له معنيان :أحدهما : تفصيل آياته بالفواصل ، والمعنى الثاني في فصّلناه بيّناه ،وقوله عز وجل : "آيات مفصلات " بين كل آيتين فصْل تمضي هذه وتأتي هذه ، وبين كل آيتين مهلة ، وقيل مفصّلات مبيّنات "[4] ، ومن هذه المعاني المذكورة يتبين أن مفهوم الفصل يعني التفريق بين شيئين ، لمعرفة نهاية الشيء الأول وبداية الشيء الثاني ، وهذا لا يعني بالضرورة أن ينفصل الثاني عن الأول فصلاً تاماً ، بل على العكس فالفاصلة بمثابة محطة استراحة [5] في الخطاب ، لتحسين الكلام بها ، وهي من مُكمّلات جمال تعلق الشيئين بعضهما بالآخر ، شرط أن يكون الشيئان مندرجين ضمن نظام معين ، وبهذا تتحقق للفاصلة فوائد متعددة غير التفريق ، من بينها المحافظة على النظام الذي يجمع أشياء متشابهة ذات أهداف مشتركة ، كما تحقق غاية

---

[1] ابن منظور ، لسان العرب ، الطبعة الرابعة ، دار صادر ،بيروت – لبنان ،2005 ، ج11 ،ص 188 ، مادة فصل ، وانظر الفيروز أبادي ،القاموس المحيط ، دار الفكر ، بيروت – لبنان ،ج 4 ، ص 30 ، وانظر : مجمع اللغة العربية ، المعجم الوسيط، أخرجه إبراهيم مصطفى وآخرون ، وأشرف على طبعه عبد السلام هارون ،المكتبة العلمية ، طهران بلا ،ط،ت ،ج 2 ، ص 698 .

[2] - سورة المرسلات ، آية 14 .

[3] - ابن منظور ، لسان العرب ، مرجع سابق ، ج 11 ، ص 189 .

[4] - المرجع السابق ، نفسه ،ص 189 ، وانظر الفيروز أبادي ، القاموس المحيط ، مرجع سابق ، ج 4 ،ص 30 .

[5] - بدر الدين بن عبد الله الزركشي ، البرهان في علوم القران ، الطبعة الأولى ، دار القمر ، بيروت – لبنان ، 1988 ، ج 1 ، ص 84 ، وانظر عبد الفتاح لاشين ، من أسرار التعبير في القران ، الفاصلة القرآنية ،دار المريخ ، الرياض ، 1982 ،ص 6.

جمالية سواءً أكانت ظاهرية أم باطنية ، ويُضاف إلى ذلك أن الفاصلة لا تكون إلا في نهاية الشيء أي في خاتمته[1] .

فالفاصلة في القرآن هي أواخر الآيات ، سواء أكانت أواخر الآيات " جملة أم كلمة واحدة "[2] ، يتناسب بعضها مع بعض فضلاً عن تناسبها مع سياق الآية الواردة فيها ، ويُقصد بالتناسب هنا معنى المقاربة[3] ، أي مدى تقارب ألفاظ الآية مع بعضها بعضاً لتأدية المعنى المراد ، فأفضل الكلام ما كان مترابطا متسلسلا غير منقطع أو متناقض[4] ، ولا يعني هذا الكلام أنّ التناسب في القرآن مقصور على الآيات وفواصلها فقط ، بل لشدة تناسب سوَر القرآن وتعلق سوَره مع بعضها بعضاً ليبدو أنّه " كالكلمة الواحدة "[5] ، وبهذا تكمل فائدة التناسب في أنّه يجعل " أجزاء الكلام بعضها آخذاً بأعناق بعض ، فيقوى بذلك الارتباط ويصير التأليف حاله حال البناء المُحْكَم المتلائم الأجزاء " [6].

وسورة الحج _ محور الدراسة _ شأنها شأن سائر سور القرآن من حيث تناسب آياتها مع فواصلها ، وتناسب خاتمتها مع فاتحتها ، وتناسب ألفاظ الفواصل مع موضوعات السورة ، ولأن غاية هذا البحث كشف جماليات هذا التناسب فقد جاء موزعاً على أربعة محاور، عالج المحور الأول مصطلح ما يسمى بالفاصلة المفتاح وكيفية ورودها في السورة ، وأما المحور الثاني فقد بيّن ورود الفاصلة التقابلية ، وأمّا المحور الثالث فقد تحدث عن التناسب القبلي لفواصل الآيات ، وجاء الفصل الرابع ليوضح التناسب الدلالي لفواصل الموضوعات .

---

[1] - ابن منظور ، لسان العرب ، مرجع سابق ج 11 ، ص 189 ، وانظر الزركشي ، البرهان في علوم القران ، مرجع سابق ، ج1 ، ص 83 ، وجلال الدين السيوطي ، معترك الأقران في إعجاز القرآن ، ضبطه وصححه أحمد شمس الدين ،الطبعة الأولى ،دار الكتب العلمية ،بيروت لبنان ،ج 1 ، ص 25 ،

[2] -ومحمد الحسناوي ، الفاصلة في القرآن ، الطبعة الثانية ، دار عمار ، عمان – الأردن ، 1986 ، ص 29 .

[3] -الزركشي ، البرهان في علوم القران ، مرجع سابق ، ج 1 ، ص 61 .

[4] - المرجع السابق نفسه ، ص61 .

[5] - المرجع السابق نفسه ، ص 66 .

[6] - المرجع السابق نفسه ، ص 62 .

المحور الأول

الفاصلة المفتاح

تكمن فائدة الفاصلة في القرآن في أنها تربط أجزاء الكلام بعضه ببعض، حتى ليشعر القارئ بأنّ الكلام ينحدر على الأسماع انحداراً ، وكأن ما سبقها لم يكن إلا تمهيداً لها ، بحيث إذا حذفت اختل المعنى ، ولو سَكت عنها القارئ لاستطاع السامع أنْ يختمها بها ، انسياقاً مع الطبع والذوق السليم .

وتُضْفي الفواصل على الآية رونقاً جميلاً، وجرْساً موسيقيّاً مُؤثراً ،إضافة إلى ما يحتويه النص القرآني من طائفة من الخصائص الصوتية المختلفة ، التي توزعت في القرآن على نحو فريد .

و للفواصل النصيب الأكبر في تشكيل الجرس الموسيقي للآي ، ولا يخفى أن هذه الخصائص مرتبطة دائماً بالتعبير عن المعنى تعبيراً قوياً ، ولها تأثير واضح على المُستمع[1] ، سواء أكان التأثير من جانب المعنى ، أم من الجانب الموسيقي .

ولأجل ذلك لا نجد في القرآن ألفاظاً تحوي أحرفاً شديدة التقارب في المخرج ، يحدث نتيجة لذلك إرباك لفظيّ أو موسيقي لدى المستمع أو القارئ ، وهذه الخصوصية شديدة الوضوح في الفاصلة القرآنية .

وهذا الأمر يدفعنا إلى البحث في جماليات فواصل السورة لاسيما الفواصل المفاتيح. ومصطلح الفواصل المفاتيح يأتي في هذا السياق متسامتاً مع مصطلح الكلمة المفتاحية التي يقصد بها " أنها ظاهرة لغوية فنية في العمل ، وهي تمثل الإشارات الإضائية الكاشفة للناقد ليسير في طريقه القرائي ، وتأتي من تفاعل جزئية متكررة مع سياقها"[2] ، أي هي كلمات ذات أهمية خاصة ترتبط بها مجموعة من الكلمات داخل النص .ومن هذا المفهوم يمكن الانطلاق في الحديث عن الفواصل المفتاحية التالية :

الفاصلة المفتاح الأولى قوله تعالى : " **إن زلزلة الساعة شيء عظيم** " [3]

جاءت هذه الفاصلة في سياق الحديث عن قيام الساعة وأهوالها ، فزلزلة الساعة والنتائج المترتبة عليها من ذهول المرضعة عمن ترضعه ، ووضع الحامل حَمْلها لغير تمام

---

[1] - موسى ربابعة ،" الانحراف مصطلحا نقديا "مؤتة للبحوث والدراسات،المجلد العاشر، العدد 4 ،1995 م ،ص 74 .

[2] - شوقي علي الزهرة ،جذور الأسلوبية من الزوايا إلى الدوائر ، مرجع سابق ، ص 105 .

[3] - الحج آية 1

وبعث الأموات الذين في القبور، إضافة إلى أنّ طول يوم القيامة كألف سنة مما يعُدُّ النـــاس كما جاء في السورة نفسها ، لهي أمور عظيمة ، وفي استعمال " إن " دلالة تعليلية توكيدية.

وللتوضيح أكثر سأورد الفواصل التي جاءت مندرجة تحت هذه الفاصـــلة ، وتـــدور في فلكها. والفواصل هي قوله تعالى:

1- "**ولكنّ عذاب الله شديد** " [1]

فلفظ الشدة هنا يتناسب مع العظمة ، ومن ناحية أخرى فإن هـــذا العـــذاب الـــشديد لا يحصل إلا بعد قيام الساعة ، والعلاقة بينهما تلازمية ، أي حدوث الثـــاني وهـــو " العـــذاب الشديد"، لا يتم إلا بعد تحقق الأول وهو قيام الساعة .

2- " **وأنّ الله يبعث مَنْ في القبور** " [2]

فبعث الأموات من قبورهم لا تخفى عظمته على أحد ، ومن ناحية أخرى ثمة علاقـــة ترتبية بين هذه الفاصلة والفاصلة المفتاحية تتمثل في أن بعث من في القبور يترتـــب علـــى قيام الساعة .

3- فواصل الجزاء :

وهي الفواصل التي ختمت الحديث عن جزاء المؤمنين والكافرين في الآخرة ، ومـــن الفواصل الخاصة بالكافرين "الحميم " ، "عذاب الحريق " "عذاب اليم" ، " أصحاب الجحـــيم " ومن الفواصل الخاصة بالمؤمنين "جنات النعيم " " ولباسهم فيهـــا حريـــر " وغيرهـــا مـــن الفواصل الدالة على النعيم ، والعلاقة بينها وبين الفاصلة المفتاح علاقة ترتب الثـــاني علـــى الأول ، أي ترتب الجزاء على قيام الساعة .

الفاصلة المفتاح الثانية

قوله تعالى : " **إن الله لطيف خبير** " [3]

فاللطيف هو الواصل علمه أو فضله إلى كل شيء[4]، والخبير هو الخبير بمصالح الخلق ومنافعهم[5] ، حيث تم اختيار هذه الفاصلة والمذكور فيها اسمان من أسماء الله الحسنى على الفواصل التي ذكر فيها أسماء أخرى لله ؛ لوجود علاقة بين هـــذين الاســـمين ومـــضامين

---

[1] - الحج آية 2

[2] - الحج آية 7

[3] - الحج آية 63

[4] - الزمخشري ، الكشاف ، عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ،دار الكتاب العربي ،بيروت – لبنان ج 3، ص 168 .

[5] - المرجع السابق نفسه ، ج 3 ، ص 168 .

الآيات التي خُتمت بأسماء الله الأخرى ، وليس لأنّ هذين الاسمين لهما أفضلية على أسماء الله الأخرى ، فمن الفواصل التي تندرج تحتها ، ما جاءت مضامين آياتها متناسبة مع مفهوم الفاصلة المفتاحية ، ومنها ما جاء في سياق الآيات التي تحدثت عن إنزال المطر من السماء ، واخضرار الأرض وتسخير ما فيها ، وجريان السفن في البحر ، ومسك السماء من الوقوع على الأرض ، ونصرة الله لعباده المستضعفين ، هي من فضل الله ومنّه . كما أنها كلها من لطف الله بخلقه ،ومنها أيضاً الآيات التي تحدثت عن خلق الإنسان وإيلاج الليل في النهار والنهار في الليل ، وغيرها ، فهذه النعم لا تكون إلا لإله لطيف بعباده خبير بمصالحهم[1] .

ففواصل هذه الآيات جاءت كلها تحمل بعضا من أسماء الله الحسنى ، ومن هذه الأسماء : العلي ، الكبير ، الغفور ، الرحيم ، السميع ، البصير ، الغني الحميد ، النصير ، القوي العزيز .فهذه الأسماء تناسبت مع سياق الآيات التي جاءت فيها ، ولكن ما قصدته في هذه الفاصلة هو تناسب مضامين الآيات التي انتهت بأسماء الله الحسنى المذكورة سابقا مع الفاصلة التي انتهت باسمي الله " اللطيف الخبير " .

يضاف إلى ذلك أنّ الفواصل التي انتهت بأسماء الله الحسنى في السورة بلغت ما مجموعه ثلاث عشرة فاصلة ، بمعنى أنها شكلت 16,6%من مجموع فواصل السورة فهي بهذا تعكس ظلالها على السورة كلها لما لها من قداسة وأهمية[2]،إضافة إلى إيقاعها الموسيقي العذْب، وما تبعثه في النفوس من أثر إيجابي في توطيد العلاقة ما بين العبد وربه ، وحشد التفاعل مع السياق الواردة فيه ، فهي بهذا تحقق المقصود وتثبته .

الفاصلة المفتاح الثالثة

فواصل الجزاء

سبقت الإشارة إلى فواصل الجزاء التي جاءت مندرجة تحت فاصلة مفتاحية أخرى ، وأشير هنا إلى فواصل الجزاء التي جاءت بصورة الفاصلة المفتاحية ،والتي يندرج تحتها فواصل أخرى متعلقة بالجزاء ، حيث جاءت موزعة على نمطين: -

1- **الجزاء الأخروي الخاص بالمؤمنين**

---

[1] -الزمخشري ، الكشاف ، مرجع سابق ، ج 3 ، ص 168 ، وانظر الألوسي ، روح المعاني ، مرجع سابق، ج 9 ، ص 192، 193 .

[2] - محمد الحسناوي ، الفاصلة في القرآن ، مرجع سابق ، ص 314 .

ويقصد به الجزاء المتحصّل للمؤمنين يوم القيامة ، حيث جاءت فواصله متحدثة عن جملة من أنواع النعيم من مثل لبس الحرير ،والرزق الكريم ، والرزق الحسن .

والفاصلة المفتاحية في مثل هذا النوع من الجزاء قوله تعالى : " **فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمٌ** "[1] حيث يندرج تحتها الفواصل التالية :

- " **ولباسهم فيها حرير** " فلبس الحرير هو صورة من صور النعيم المتحصل في الجنة.

- " **رزق كريم** "حيث جاءت هذه الفاصلة في سياق ما أعده الله للمؤمنين في الجنة ، كما أن الرزق الكريم الطيب صورة من صور النعيم في الجنة . والعلاقة بين هاتين الفاصلتين والفاصلة المفتاحية المندرجة تحتها علاقة الجزء بالكل ، أي إنّ لبس الحرير ، والرزق الكريم جزآن من نعيم الجنة.

- " **وهُدوا إلى صراط الحميد**" وقُصد بصراط الحميد الإسلام ، والإسلام مُؤدّ إلى الجنة ، والعلاقة بين هذه الفاصلة والفاصلة المفتاحية علاقة السببية ، أي إن سبب دخول الجنة الإسلام .

2 – الجزاء الأخروي الخاص بالكافرين

ويقصد به ما أعده الله للكافرين يوم القيامة من أصناف العذاب وألوانه ، والفاصلة المفتاح في هذه الفواصل قوله تعالى : "**أولئك أصحاب الجحيم** "[2] ، والجحيم دَرَكة من دَرَكات النار[3] ،وقيل إن الجحيم النار الشديدة التأجج[4] ، وفي استعمال اسم الإشارة معنى الاستغراق في البعد ، ومن الفواصل المندرجة تحت هذه الفاصلة قوله تعالى :

- "**يصب من فوق رؤوسهم الحميم** " فالحميم النحاس المذاب المحرق، وصبه فوق رؤوس الكفرة صورة من صور العذاب المهين لهم .

- " **ذوقوا عذاب الحريق** " فالعذاب المحرق لا بد له من مكان يقع فيه والمكان ، النار ودركاتها .

---

[1] - الحج آية 56

[2] - الحج آية 51

[3] - الألوسي ، روح المعاني ، ج 9 ، ص 172 ، وانظر ناصر الدين البيضاوي ، تفسير البيضاوي ،المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، وبهامشه حاشية العلامة أبو الفضل القرشي المشهور بالكازروني ، حققه وبين الأحاديث الموضوعة والضعيفة والإسرائيليات فيه الشيخ عبد القادر عرفات العشا حسونة ، بلا طبعة ، دار الفكر بيروت – لبنان ، 1996 ،ج 4 ، ص 132 .

[4] - أبو السعود ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، الطبعة الثانية ، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان ، 1990 ، ج 5، ص 113

- " **فأولئك لهم عذاب مهين** " والتناسب واضح بين من يُعذّب والإهانة التي هو فيها . والعلاقة بين الفواصل السابقةوالفاصلة المفتاح علاقة الجزء من الكل ، فصب النحاس المُذاب على الرؤوس إضافة إلى العذاب المُحرق ، والإهانة التي يجدها الكافرون في النار جزء من العذاب ، وفي استعمال اسم الإشارة استغراق في الاستبعاد

الفاصلة المفتاح الرابعة

هي الفاصلة المتعلقة بالعبادة في قوله تعالى : " **فإنّها من تقوى القلوب** "[1] .

إن التقوى مرتبة رفيعة لا يتحصل الإنسان عليها إلا بعد تقديمه أصنافاً متعددة من العبادة والتقرب إلى الله ، ويندرج تحتها ما جاء من الفواصل يتناسب و مضمون هذه الفاصلة ومعناها ، وفي استعمال أداة التوكيد " إن " دلالة التوكيد . ومن الفواصل التي اندرجت تحتها قوله تعالى:

- " **فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير** "[2] فالإنفاق على الفقراء من التقوى ، والعلاقة بين هذه الفاصلة والفاصلة المفتاحية علاقة سبب ونتيجة ، فالإنفاق في وجوه الخير ، والإحسان إلى الفقراء ، سبب من أسباب زيادة التقوى في القلوب .

- " **وبشر المخبتين** " والمخبتون هم المتواضعون ، والراضون بقضاء الله[3] ، والعلاقة واضحة بين المتواضع والراضي بقضاء الله ومن كان قلبه تقيا

- " **وبشر المحسنين** " والإحسان درجة عالية من الإيمان لا يتحصّلها إلا مَنْ كان مِنْ أصحاب القلوب التقية . والعلاقة بين الفاصلتين الأخيرتين والفاصلة المفتاحية علاقة اشتمال ، بمعنى أنّ تقيّ القلب يشمل المحسن والمُخبت ، وغيره ممن كان في سلك هؤلاء الأتقياء .

---

[1] - الحج آية 32

[2] - الحج آية 28

[3] -الألوسي ، روح المعاني ، مرجع سابق ، ج 9 ، ص 154 ، وابن عاشور ، التحرير و التنوير ، مرجع سابق ، ج 16 ، ص 260 - 261

المحور الثاني

الفاصلة التقابلية

يُقصد بها الفاصلة التي اتخذت من أسلوب التقابل شكلاً لها في السورة ، وأشارت بعض التفاسير إلى وجود أسلوب التقابل بين بعض فواصل آيات سورة الحج ، وبالأخص ما جاء في سياق الآيات التي تحدثت عن جزاء المؤمنين والكافرين ، كتفسير الميزان للطباطبائي[1] ، وتفسير التحرير والتنوير لابن عاشور[2] ،حيث ذكرا في أثناء توضيح بعض آيات الجزاء وجه المقابلة بين حال المؤمنين وحال الكافرين يوم القيامة ، كما أشار أيضا البقاعي في نظم الدرر إلى وجود المقابلة في الجزاء [3] ، وهذا القول يدفع بالبحث إلى توضيح أسلوب المقابلة الحاصلة بين فواصل الآيات ، حيث جاءت الفاصلة التقابلية في السورة على صيغتين هما :

الصيغة الأولى: التقابل المتضاد

ويقصد بها وجود التقابل بين بعض الفواصل ولكن على صورة التضاد، ومن الذين أشاروا إلى وجود مبدأ التضاد الزركشي في البرهان عند حديثه على قوله تعالى في سورة البقرة في الآية رقم "6" ونصّها " **إنّ الذين كفروا سواء عليهم ءأنذرتهم أم لمْ تُنذرهم لا يؤمنون** " وكيف ربطها مع فاتحة السورة التي تحدثت عن المؤمنين وبعض صفاتهم فقال : " فإنه أول السورة كان حديثنا عن القرآن الكريم وأن من شأنه كيت وكيت ، وأنه لا يهدي القوم الذين من صفاتهم كيت وكيت ، فرجع إلى الحديث عن المؤمنين فلما أكمله عقّب بما هو حديث عن الكفار ، فبينهما جامع وهمي بالتضاد من هذا الوجه ، وحكمته التشويق والثبوت على الأول كما قيل وبضدها تتبين الأشياء " [4] .

---

[1] - انظر: الطباطبائي ، الميزان في تفسير القرآن ، الطبعة الأولى ، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت – لبنان ،1991 ،ج 14، ص 363

[2] - ابن عاشور ، التحرير والتنوير ،ج 16، ص 231.

[3] - برهان الدين أبو الحسن البقاعي ، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ،الطبعة الأولى ، وزارة الثقافة والشؤون الإسلامية ، قطر ،1978 ، ج 13 ، ص31.

[4] - الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، مرجع سابق ، ج 1 ، ص 77.

والمقصود من كلام الزركشي من وقوع التضاد هو أنّ بداية الآيات كان حديثها عن المؤمنين وصفاتهم ثم انتقلت الآيات للحديث عن الكافرين وصفاتهم ، ونتيجة لذلك وقع التضاد ، وانطلاقاً من هذا القول لجأتْ الدراسة هنا إلى كشف جماليات بعض الفواصل القائمة على الضدية . ومن هذه الفواصل فواصل الآيات من 19 – 24 من سورة الحج حيث تحدثت عن جزاء كل من المؤمنين والكافرين .

فالكافرون لهم ثياب النار، ويُصب الحميم من فوق رؤوسهم وهذا الحميم يصهر ما في بطونهم وجلودهم ، إضافة إلى ذلك المقامع المصنوعة من الحديد التي يُضربون بها ، ويقابله جزاء المؤمنين الذين لهم الجنات التي تجري من تحتها الأنهار ؛أي المياه الواسعة ، " أينما أردت من أرضها جرى لك نهر في مقابله ما يجري من فوق رؤوس أهل النار من الحميم ، والتحلية بالأساور واللباس في مقابله ما يزال من بواطن الكفر وظواهرهم [1]" . وسياق الآيات يوضح ذلك ، قال تعالى " **هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الحَمِيمُ ، يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالجُلُودُ ، وَلَهُمْ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ ، كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الحَرِيقِ ، إِنَّ اللهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ، وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ القَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الحَمِيدِ** " [2] ، وقوله تعالى أيضاً : " **كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ** "[3]، فالمقابلة هنا مقابلة ضدية فالحميم في مقابل جريان الأنهار ، وصهر الجلود في مقابلة لبس الحرير ، وشتان ما بين الحرير والنار التي تصهر الجلد ، وأثر كل منهما على الجلد يفهمه كل لبيب ، كما أنّ الهداية إلى قول الحميد الخاص بالمؤمنين يقع في مقابله الهداية إلى عذاب السعير ، وشتان ما بين الهدايتين

والرسم التالي يوضح المقابلة الحاصلة بين الفواصل السابقة الذكر :

فواصل جزاء المؤمنين	**يقابلها بالتضاد**	**فواصل جزاء الكافرين**
- ولباسهم فيها حرير		**يصب من فوق رؤوسهم الحميم**
- يصهر به ما في بطونهم والجلود		
- لهم مغفرة ورزق كريم		**ذوقوا عذاب الحريق**

[1] - البقاعي ، نظم الدرر ، مرجع سابق ، ج13 ، ص 31 ، وانظر أيضا ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، مرجع سابق ، ج 16 ، ص 231 .

[2] - الحج آية 19 - 24

[3] - الحج آية 4

- في جنات النعيم أولئك أصحاب الجحيم

- وهدوا إلى صراط الحميد يهديه إلى عذاب السعير

بقي أنْ نشير إلى أننا ذكرنا في فصل الحقول الدلالية ورود مثل هذا التقابل ، ولكن ما يميّز ما ورد في فصل الحقول الدلالية أننا ذكرنا هناك العلاقات الرابطة بينها من ترادف وغيره ، أما هنا فالتقابل واقع بين الفواصل لا بين مفردات الحقول .

وأما النوع الثاني من الفاصلة القائمة على مبدأ التضاد ، فقد جاءت في سياق النصرة وهي كالتالي:

قوله تعالى فيما يختص بالمؤمن يقابلها قوله تعالى فيما يختص بالكافر

نعم المولى يقابلها بئس المولى

نعم النصير يقابلها بئس العشير

فالملاحظ من السابق جمال التقابل رغم تضاده ، ولتوضيح جماليات هذا التقابل نورد الآيات التي وردت فيها الفواصل مع ما يلزم من التوضيح ، فقد قال تعالى في سياق الآية الخاصة بالكافر: " **يَدْعُو مِنْ دُونِ اللهِ مَا لا يَضُرُّهُ وَمَا لا يَنْفَعُهُ ذَلِكَ هُوَ الضَّلال البَعِيدُ** "[1] فهذا الإله المزعوم من دون الله لا يملك نفعا ولا ضرا، فهو لا يملك من أمره شيئا فناسبته خاتمة بئس العشير ؛ لأنّ الكافر يوم القيامة يقوم بالدعاء والصراخ حين يرى تضرره بمعبوده ، ودخوله النار بسببه ، ولا يرى منه أثر النفع مطلقا[2] ، فهذا الإله المزعوم هو بئس الناصر ، و بئس العشير.

وفي مقابل هذا الإله المزعوم يأتي الحديث عن الإله الحق ، الذي بيده ملكوت كل شيء يقول تعالى : "**وَجَاهِدُوا فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ المُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ المَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرِ** "[3] فالاعتصام هو " المنع من الضرر والنجاة " [4]، ولا يكون الاعتصام

---

[1] - الحج آية 12

[2] - أبو السعود ، تفسير أبي السعود ، مرجع سابق ، ج5، ص 98 ، وانظر علاء الدين علي بن محمد البغدادي المعروف بالخازن ، تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل ، وبهامشه تفسير النسفي ، بلا ط ، دار الفكر ، ج 3 ، ص 283 ، وتفسير البيضاوي ، مرجع سابق ، ج 4 ،ص 118 .

[3] - الحج آية 78 .

[4] - ابن عاشور ، التحرير والتنوير مرجع سابق ، ج 16 ص 352 ، وتفسير ابن عطية ، مرجع سابق ، ج 10 ، ص 328 ، وتفسير البيضاوي ، مرجع سابق ، ج 4 ص 145 ، و تفسير أبي السعود ، مرجع سابق ، ج 5، ص 122.

إلا بالمولى الذي يراعي صَلاح عبده فيعتصم به عبده ، ويرجع إليه لعظم قدرته [1] والفـرق واضح بين الوليين .

الصيغة الثانية

التقابل غير المتضاد

ويقصد من هذا المفهوم ورود فواصل متقابلة ، ولكن الرابط بينها ليس التضاد بـل الاشتمال ،ولتبيان هذا النوع من الفواصل نورد الآيات التي جاءت فواصـلها علـى هـذا الشكل.

الفاصلة الأولى والثانية

قوله تعالى :" **الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الـصَّلاةَ وَآتَـوُا الزَّكَـاةَ وَأَمَـرُوا بِالمَعْرُوفِ وَنَـهَوْا عَنِ المُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ** "[2] ، يقابلها قوله تعالى : " **وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ المَصِيرُ**"[3] ، والملاحظ على هاتين الآيتـين قيامهمـا على مبدأ التقابل ، ولكن كل آية جاءت في سياق مختلف عن الأخرى ، فالفاصـلة الأولـى جاءت خاتمة للحديث عن تمكين الله للمسلمين ، أي إنها ارتبطت بنوع خاص من البـشر، وهم عباد الله الطائعون ، ويقابلها الفاصلة الثانية التي جاءت في سياق الحديث عـن النـوع الآخر من البشر ألا وهم العصاة .

ومن جانب آخر يلحظ أن الفاصلة المتعلقة بالمسلمين " ولله عاقبة الأمور " جـاءت مـع لفظة التمكين ، ولفظة العاقبة ، لأن لفظة العاقبة تدل على المآل الحسن ، ولفظـة التمكـين تدل على النصرة ، أما الفاصلة المتعلقة بالعصاة فقد تناسبت مع لفظة المصير ،التي ُيفهـم منها العقاب والعذاب .

الفاصلة الثالثة

قوله تعالى : " **يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ**" [4]

جاء تناسبها مع الفاصلتين السابقتين ضمن علاقة الاشتمال ،وجاءت هذه الآية في سـياق علم الله بخلقه ورجوعهم إليه سواء أكانوا طائعين أم عصاة ، فالرجوع هنا يشمل العاقبتين " الحسنة والسيئة " .

---

[1] ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، مرجع سابق ، ج 16 ، ص 352 .

[2] - الحج آية 41

[3] - الحج آية 48

[4] - الحج آية 76

الفاصلة الرابعة

قوله تعالى " **وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ القَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الحَمِيدِ** "[1]

" فالفاصلة فيها " صراط الحميد " ومعناها الإسلام ؛ لأنه "النظر الصحيح الموصل إلى الحق الصريح"[2] ، حيث تتقابل هذه الفاصلة مع فاصلة قوله تعالى " **وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ أَنَّهُ الحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**" [3] ،فالتقابل بين الفاصلتين " صراط الحميد ، وصراط مستقيم " بيّن واضح ، لان النظر الصحيح هو الطريق الموصل إلى الحق الصريح ، والحق هو الله عز وجل والطريق الموصل إلى الله هو الإسلام[4].

المحور الثالث

التناسب القبلي لفواصل الآيات

ويقصد من هذا العنوان كشف جماليات تناسب فواصل الآيات مع مضمون آياتها ،ولتوضيح هذا الكلام سيتم دراسة هذا المحور ضمن الموضوعات التالية :

1 - **الساعة وأهوالها**:

تعددت الآيات التي تحدثت عن الساعة وأهوالها ، فختمت بفواصل تتناسب مع سياق هذه الآيات ومثال ذلك قوله تعالى : " **يأيها الناس اتقوا ربكم إنّ زلزلة الساعة شيء عظيم ،يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ** "[5]

فالآيتان السابقتان تتحدثان عن هول الساعة ، وختمتا بفاصلتين متناسبتين مع الآيات ،فالفاصلة الأولى قوله تعالى : " إنّ زلزلة الساعة شيء عظيم " فالزلزلة تعني الاضطراب والحركة العنيفة وإزالة الأشياء عن مقارها[6]،وهذا الأمر يحدث يوم تقوم الساعة ،فالأشياء

---

[1] - الحج آية 24 .

[2] - أبو السعود ، تفسير أبي السعود ، مرجع سابق ، ج5 ، ص 114 ،وانظر تفسير البيضاوي ، مرجع سابق ، ج4، ص 136 .

[3] - الحج آية 54

[4]- الخازن ، تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل ، مرجع سابق ، م 3 ، 286

[5] - الحج آية 1-2 .

[6]ابن عطية ،المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، مرجع سابق ، ج1 ،ص221،وانظر تفسير الخازن ، مرجع سابق ، ج 3،ص280،وانظر أبو السعود ،تفسير أبي السعود ، مرجع سابق ، ج5 ،ص91

المزلزلة والأشياء المهولة والاضطراب الذي يحصل للكون هي أشياء عظيمة ،ويقصد بالعظيم الذي لا تحتمل العقول وصفه[1]،أما الآية الثانية التي تحدثت عن ذهول المرضعة عمن ترضعه ، ووضع الحامل لحملها ، ورؤية الناس سكارى من هول الساعة ، فقد ناسبها لفظ الشدة بقوله تعالى: "ولكن عذاب الله شديد" .

2-الآيات المنتهية بأسماء الله الحسنى:

تكرر في سورة الحج ذكر أسماء الله الحسنى ،حيث جاءت فواصل لثلاث عشرة آية من أصل ثمان وسبعين آية هي مجمل آيات السورة،وكان تناسب هذه الفواصل مع آياتها تناسبا متسقا ،ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى : " **ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ**"[2] ،حيث تناسب لفظ السمع مع لفظة الليل ، وناسب البصر لفظة النهار ،وفي هذا دليل على قدرة الله عز وجل ؛ لأنّ الإنسان أحوج ما يكون إلى السمع و الرؤية والإبصار ،والله عز وجل منزه عن هذه الأعراض ،لأنه لتمام قدرته لا يفوته شيء في الليل أو النهار[3].

ومنها أيضا قوله تعالى : " **ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ البَاطِلُ وَأَنَّ اللهَ هُوَ العَلِيُّ الكَبِيرُ** "[4] ،حيث جاءت الآية متناسبة مع فاصلتها ،فسياق الآية يدور حول تحقير المعبودين من دون الله من أصنام وغيرها ،وتنزيه الله عن مثل هذه الشركيات ، إضافة إلى أن الآية استعملت مع المدعو من دون الله لفظ " من دون" :" الذي يفيد الدنّو والاحتقار ، وختمت الآية بعكس هذا القول ، وهي قوله تعالى " العلي الكبير " الذي يفيد ترفع الله وعلوه عن مثل هذه الصفات وتأكيد حقيقة "أن كل ما سوى الله سافل حقير تحت قهره وأمره "[5] .

ومن تناسب الفواصل مع مضمون آياتها ضمن هذا الموضوع قوله تعالى : " له **مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِنَّ اللهَ لَهُوَ الغَنِيُّ الحَمِيدُ** " [6]، حيث ورد التناسب بين فاصلة الآية ومحورها، فمحور الآية يدور حول ملك الله للسماوات وللأرض وما فيهن ،

---

[1] - الخازن ، تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل ، مرجع سابق ، ج 3 ، ص 4 .

[2] - الحج آية 61

[3] - البقاعي ، نظم الدرر ، مرجع سابق ، ج 3ا ، ص 80 .

[4] - الحج آية 62

[5] - البقاعي ، نظم الدرر ، مرجع سابق ، ج 3ا ، ص 81 ، وانظر الكشاف ، مرجع سابق ، ج 3 ، 168ص ، والتحرير والتنوير ، ابن عاشور ، مرجع سابق ، ج 16 ، ص 216.

[6] - الحج آية 64

وفاصلة الآية جاءت بلفظ الغني الذي يفيد الغنى[1] عنهما أي " السماوات والأرض ومن فيهن " ، وأما لفظ الحميد فيفيد معناه فضل الله فيما يعطيه أو يمنعه[2]. أي إن الله يملك السماوات والأرض وما فيهن ، فهو غني عن خلقه غير محتاج لأحد منهم ، ولأن الخلق محتاجون إليه ناسب خاتمة الآية لفظة الحميد ، فالله يعطي من يشاء ويمنع فضله عمن يشاء .

3 _ آيات العاقبة والجزاء

سيوضح البحث في هذا الموضوع فواصل آيات الجزاء والعاقبة لكل من المؤمنين والكافرين في الدنيا والآخرة حسبما وضحتها الآيات ؛ ولأجل ذلك جاء الموضوع في محورين هما:-

أولا : العاقبة في الدنيا

وجاء هذا المحور في اتجاهين هما :

الاتجاه الأول : عاقبة المؤمنين

فالآيات في سورة الحج وضحت عاقبة كل من المؤمنين والكافرين في الدنيا ، فمن الآيات التي تحدثت عن عاقبة المؤمنين قوله تعالى :" **الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ المُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ**"[3] ، فالآية تناسب فيها لفظ التمكين مع الفاصلة التي أفادت العاقبة الحسنة ، وأن المردّ إلى الله ، إضافة إلى أن تمكين المؤمنين من أعدائهم وهزيمة الكفار هي عاقبة كائنة لا محالة[4]، وأن رجوع الأمور كلها لله سبحانه.

الاتجاه الثاني : مصير الكافرين

كما وضحت الآيات عاقبة المؤمنين في الاتجاه السابق ، جاء هذا الاتجاه ليوضح تناسب فواصل آيات عاقبة الكافرين مع مضمونها ، ومن ذلك ما جاء في سياق الحديث عن الأمم السابقة الذين كفروا وكذبوا رسلهم فقال تعالى موضحا حالهم : " **وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ، وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ، وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَى فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ، فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ**

---

[1] - البقاعي ، نظم الدرر ، مرجع سابق ، ج 13 ، ص 83 ، وانظر التحرير والتنوير ، ابن عاشور ، مرجع سابق ،ج 16 ، ص 320 .

[2] - البقاعي ، نظم الدرر ، مرجع سابق ، ج 13 ، ص 83

[3] - الحج آية 41

[4] -- البقاعي ، نظم الدرر ، مرجع سابق ، ج 13 ، ص 60 .

خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ "[1] فالمصير في الآيات جاء مناسباً للسبب ، فتكذيب الرسل وشيوع الظلم سبب ، والهلاك والدمار وتعطيل الآبار ... نتيجة لهذا السبب. كما أن النكير يعني تغير ما هم عليه من الحياة وعمارة البلاد وتبديله لضده[2] ،كما أفاد الاستفهام التعجب من أفعالهم[3].فتناسبت الخاتمة مع مضمون الآية .

ثانيا : الجزاء في الآخرة

في هذا المحور وضحت الآيات جزاء كلّ من المؤمنين والكافرين في الآخرة ، ولتوضيح هذا الأمر توزع الحديث فيه على اتجاهين هما :

الاتجاه الأول :جزاء المؤمنين

فمن الآيات التي جاءت في سياق توضيح عاقبة المؤمنين في الجنة وحالهم فيها قوله تعالى : " **إِنَّ اللهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ، وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ القَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الحَمِيدِ**"[4] فالفاصلتان لباسهم فيها حرير ، وهدوا إلى صراط الحميد ، تتناسبان وحال المؤمنين في الجنة ، والنعيم الذي هم فيه من تحلية بالذهب والفضة والتنعم بالأنهر التي تجري من تحت الجنان . ثم إنّ هذه الآية بُدئت بالصيغة الاسمية وختمت بالصيغة الاسمية لتدل على ثبوت[5] النعيم .

الاتجاه الثاني : جزاء الكافرين

ومثال على تناسب الفاصلة مع مضمون الآية قوله تعالى : " **وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ** "[6] والتناسب واضح بين السبب والنتيجة فالسبب الكفر والتكذيب ، والنتيجة الفاصلة " عذاب مهين " أي من كان كافراً و جاحداً لنعم ربه متكبراً عليها فعاقبته الإذلال والمهانة ، فتناسبت الإهانة مع الكفر والتكذيب .

---

[1] الحج آية 42- 45

[2] - الألوسي ، روح المعاني ، مرجع سابق ، ج 9 ، ص 165 .

[3] - الألوسي ، روح المعاني ، مرجع سابق ، ج9 ، ص 165

[4] - الحج آية 23 – 24

[5] - أبو السعود ، تفسير أبي السعود ، مرجع سابق ، ج5، ص 102 ،وانظر التحرير والتنوير ، ابن عاشور ، ج 16 ، ص 233 ، وانظر حاشية الشيخ زادة على تفسير البيضاوي ، ج 3 ص 379

[6] - الحج آية 57 .

المحور الرابع

التناسب الدلالي لفواصل الموضوعات

يتبين للمتتبع لسورة الحج تنوع فواصلها ومدى انسجامها مع بعضها بعضاً ، وتعدد موضوعاتها ، ولأجل ذلك اتخذت في شكلها البنائي البنية القائمة على تنوع الموضوعات وتنوع الأهداف المستقلة [1]، ويقصد من هذا القول توضيح ما تضمنته السورة من موضوعات ، وبيان هدف كل موضوع . وعليه فإنّ هدف الدراسة في هذا المحور كشف الجانب الجمالي لتناسب فواصل الموضوعات فيما بينها ، وليس كشف مدى تجانس الموضوعات وتوضيحها ، وتناسبها مع بعضها بعضاً ، فالمقصود كشف مدى تناسب فاصلة موضوع ما مع الموضوع اللاحق له .

ونظراً لتنوع الموضوعات المطروقة في السورة وتنوع أهدافها ، فالملاحظ أن فواصلها جاءت متلائمة فيما بينها ، فكأن الفاصلة تمهد للموضوع اللاحق لها[2] ، ومثال ذلك:

1- حديث الآيات عن أهوال قيام الساعة في قوله تعالى :" **يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ** "[3] ففاصلة الآية هي " ولكنّ عذاب الله شديد " فالشدة في نهاية الفاصلة تناسبت مع موضوع الآية التي تليها وهي بيان عاقبة المجادل في الله بغير علم وأنّ عاقبته عذاب السعير ، ونص الآية هو "**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ ، كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ** "[4] يضاف إلى ذلك أن موضوع الآية الأولى هو الساعة وأهوالها ، وموضوع الآية الثانية المجادل في الله وعاقبته ، والتناسب بينهما واضح لأنّ عذاب السعير ينطبق عليه وصف شديد .

2- حديث الآيات عن موضوع من يعبد الله على حرْف ، وهو المضطرب في دينه في قوله تعالى : " **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ** "[5]، ففاصلة الآية "

---

[1] - محمود البستاني ، القواعد البلاغية في ضوء المنهج الإسلامي . الطبعة الأولى ، مجمع البحوث الإسلامية ، 1414 هجري ، ص 318 وما بعدها .

[2] - - محمود البستاني ، القواعد البلاغية في ضوء المنهج الإسلامي ،المرجع السابق ذاته ،ص 318

[3] - الحج آية 2 .

[4] - الحج آية 3-4

[5] - الحج آية 11

الخسران المبين" جاءت متناسبة مع مضمون الآية التي تليها وهي قوله تعالى : "**يَدْعُو مِنْ دُونِ اللهِ مَا لا يَضُرُّهُ وَمَا لَا يَنْفَعُهُ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ البَعِيد**"[1] ،فالذي يشرك بالله ويدعو مخلوقا آخر مثله ولا يدعو ربه الذي خلقه فهو في ضلال بعيد ، ومن يمعن النظر يجد التناسب واضحاً بين الفاصلة الأولى" الخسران المبين " وفاصلة الآية التالية لها وهي " الضلال البعيد " لمن يشرك بربه ، فالمشرك خاسر خسارة كبيرة لا محالة كما أنه ببعده عن ربه واقع في ضلال بعيد.

3- ومن الموضوعات الأخرى التي جاءت فواصلها متناسبة ، موضوع الآية التي تحدثت عن أصحاب العقائد المختلفة ، في قوله تعالى : " **وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَأَنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ** "[2] ،ففاصلة هذه الآية هي قوله تعالى " وأن الله يهدي من يريد " تناسَبَ لفظ الهداية مع فاتحة الآية التي تليها وهي قوله تعالى : " **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ** "[3] ، والتناسب واضح بين لفظ الهداية ولفظ الإيمان في أول الآية الثانية، ومن جانب آخر جاء فعل الهداية في فاصلة الآية الأولى " يهدي من يريد " يفيد الإطلاق ، ولفظ الإيمان في أول الآية التي تليها يفيد الإطلاق أيضا ، كما أن الآية الثانية بدأت بذكر أعم الناس في الهداية وهم المؤمنون ، وختمت بأعم الناس في الضلال والبُعْد وهم المشركون .

4- حديث الآيات عن موضوع نصرة الله لعباده المؤمنين في قوله تعالى : " **الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ**"[4] ، فالفاصلة في هذه الآية ختمت بمعنى القوة والعزة لله فناسبت موضوع الآية التي تليها ، والتي تحدثت عن تمكين الله لعباده المسلمين في الأرض في قوله تعالى : " **الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ المُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ**"[5]، فلفظة التمكين في أول الآية التي تدل على النصرة والعزة تناسبت مع اسمي الله اللذين يفيدان القوة والعزة .

---

[1] - الحج آية 12
[2] - الحج آية 16
[3] - الحج آية 17
[4] - الحج آية 40
[5] - الحج آية 41

ولا يعني هذا أنّ هذه الأمثلة هي كل الأمثلة الواردة في السورة مدار البحث ، بل على العكس فقد أوردنا ما نراه قد سد الحاجة في توضيح الفكرة .

بقي أن نشير إلى موضوع آخر في هذا النوع من الفواصل وهي الفاصلة التي اتخذت من الإجمال أسلوبا لها . حيث ورد تفصيل هذا الإجمال في الآية التي تليها ومن هذه الفواصل الفاصلة التي جاءت في سياق الحديث عن الساعة وأهوالها في قوله تعالى : " **يا أيّها الناس اتقوا ربكم إنّ زلزلة الساعة شيء عظيم** "[1] ، حيث جاءت فاصلتها : " إن زلزلة الساعة شيء عظيم "مجملة ، وجاء تفصيلها في سياق الآية التي تليها ، التي تحدثت عن ذهول المرضعة ، ووضع الحامل لحملها ورؤية الناس سكارى من غير سكر،وهي قوله تعالى : " **يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ**"[2] ، فعِظم زلزلة الساعة يكمن فيما تحدثه من أمور عظيمة من مثل ذهول المرضعة عن إرضاع طفلها ، وفي استعمال مرضعة بدلا من مرضع بيان لشدة الأمر وتفاقم الهول ، ومن الأمور العظيمة الأخرى وضع الحامل لحملها من غير تمام ، ورؤية الناس سكارى من غير سكر . فهذا كله تفصيل لما لأجمال الفاصلة .

والمثال الآخر على هذا النوع من الفواصل ، فاصلة قوله تعالى " **الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ للهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ**"[3] ، فلفظ النعيم هنا جاء مجملا وورد تفصيله في الآيات التي تحدثت عن النعيم في الجنة في قوله تعالى : " **إِنَّ اللهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ، وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ القَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الحَمِيدِ**"[4]. فجريان الأنهار من تحت الجنان ، ولبس الذهب والفضة ، ولبس الحرير والهداية إلى الطريق الأقوم ، هي من نِعَم الله على المؤمنين في الجنة .

كما ورد الإجمال أيضاً في الفاصلة التي تحدثت عن جزاء الكافرين وذلك في قوله تعالى : " **وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ** "[5] فالفاصلة " عذاب مهين " جاءت هنا مجملة وجاء تفصيلها في قوله تعالى : " **فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الحَمِيمُ ، يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالجُلُودُ ، وَلَهُمْ مَقَامِعُ مِنْ**

---

[1] - الحج آية 1
[2] - الحج آية 2
[3] - الحج آية 56
[4] - الحج آية 23-24
[5] - الحج آية 57

حَدِيدٍ ، كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الحَرِيقِ"[1]. فالثياب المفصّلة من النار ، والحميم الذائب والمقامع التي يُضربون بها هي كلها تفـصيل للعـذاب المهين .

كما وتجدر الإشارة إلى أنّ الإهانة هنا جاءت في سياقي اللفظ والفعل ، فالسياق الفعلـي جاءت في الضرب والحرق وصهر الجلود ، والسياق اللفظي جاء في فعل الأمر "ذوقوا " وفعل الأمر هنا أفاد الاستهزاء والسخرية.

[1] - الحج 19 – 22 .

الفصل الثالث

الصورة القرآنية بنيتها الأسلوبية واتساعها الدلالي

مفهوم الصورة واتساعها الدلالي :-

اختلف النقاد في تحديد مفهوم الصورة الفنية وذلك لاختلاف فهمهم لهـــا ، ونظـــرتهم إليها ، ونتيجة لذلك اكتسبت الصورة الفنيـــة تعريفـــات متعـــددة ومتنوعـــة ، فقـــديماً درس البلاغيون قضية الصورة الفنية ، وكان اهتمامهم منصباً في تجليتها وتوضيحها ، إضـــافة إلى تحديد أنواعها وأنماطها من وجهة نظر بلاغية تقليدية .

أما في العصر الحديث فقد عولجت الصورة الفنية في كثير من الدراسات الأدبية ، كما دارت حولها دراسات متعددة من بينها كتاب " التصوير الفني في القرآن الكريم " لـــسيد قطب ،ودراسة مصطفى ناصف بعنوان "الصورة الأدبية " ، ومن الدراسات الأخرى التي عالجت موضوع الصورة دراسة جابر عصفور بعنوان " الصورة الفنية عند شعراء الإحياء في مصر " و " والصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب " ، وغيرها .

ومما ورد في تعريف الصورة الفنية أنها "طريقة خاصة من طرق التعبيـــر أو وجـــه من وجوه الدلالة تنحصر أهميتها فيما تحدثه من معنى من المعاني من خصوصية وتأثير"[1]، ويمكن تعريفها أيضاً بأنها : " العنصر التخييلي متمثلاً في إيجاد علاقة بين شيئين لا علاقـــة حقيقية بينهما في الواقع "[2].

والتخيل بهذا نشاط خلاق يهدف إلى تكوين صُوَر ، ونـــسجها مـــن معطيـــات الواقـــع وتشكيلها برؤية جديدة متميزة للواقع نفسه ليدفع المتلقي إلى إعادة التأمل في واقعه[3] .

وتكمن أهمية دراسة الصورة الفنية في أنها توضـــح بعـــض الجوانـــب الفنيـــة فـــي النصوص، وتُبرز جمالياتها ، وتبين بعض أنماط التعبير فيها ، وذلك لأن الصورة تتفـــاوت في كونها أحيانا صورا مادية محسوسة ، أو صورا معنوية غير محسوسة ، أو تتناوب فيما

---

[1] - جابر عصفور ، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب ، الطبعة الثالثة ، المركز الثقافي العربي ، 1992، ص 323.

[2] - محمود البستاني ، القواعد البلاغية في ضوء المنهج الإسلامي ، مرجع سابق ، ص 171 .

[3] - انظر جابر عصفور ، الصورة الفنية ، مرجع سابق ، ص 14 .، ومصطفى إبراهيم المشني ، التخييل ، الطبعة الأولى ، دار الرازي ، عمان – الأردن ، 2001، ص 15 .

بينها فتصور محسوساً بمعنوي أو معنوياً بمحسوس ، أو معنوياً بمعنوي ، أو محسوساً بمحسوس .

ويلجأ الأديب إلى الصورة عندما يجد أن الألفاظ والتراكيب الخالية من الصور الفنية قد لا تؤدي الغرض المقصود ، إضافة إلى الرغبة في الإيجاز فيكون اللجوء إلى الصورة الفنية هدفا منشوداً، وغاية مطلوبة ؛ لما للصورة من أثر بالغ في كشف جوانب المعنى المراد، فأثر الكلام المفعم بالصور الفنية يفوق أثر الكلام المباشر لدى المتلقي .

ولأهمية الصورة الفنية وأثرها فقد حرص الأدباء حرصاً كبيراً على إبداعها ، بشكل يجعلها تميّز النص الذي هم بصدد إنشائه ، فالصورة بهذا من أهم العناصر المكونة للعمل الأدبي، إضافة إلى أنها تجعل النص الأدبي نصاً حياً تتدفق فيه الحياة من خلال تفاعل المتلقي وانفعاله بها ، وبهذا تحقق الصورة الفنية أغراضاً أخرى غير الإمتاع والتأثير لأن قوتها تكمن في التحام اللفظ مع المعنى داخل السياق الذي ترد فيه ، وهذه اللُحمة هي التي تجعل الصورة في أبهى شكل[1] . ونظراً لأهمية الصورة وأثرها الكبير فقد تميزت الصورة القرآنية بخصوصية معينة ؛ لأنها على حد قول سيد قطب :- " التصوير الفني هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن "[2]، وذلك لتنوعها في عرض أساليب القرآن ، وتناسبها مع الموضوعات والأغراض التي عالجها القرآن ، حيث راعى فيها الجانب الصوتي للكلمات التي تشكلت منها الصورة الفنية ، إضافة إلى مراعاة الحالة النفسية للقارئ ، وتناسبها مع سياق الآيات والجو العام للسورة ، ويقصد بالجانب الصوتي : الأثر الصوتي للمفردة والقدرة الإيحائية فيها ، ولا يُفهم من ذلك أنّ الصورة الفنية في القرآن ترتكز فقط على الصوت والجرْس الموسيقي لحروفها ، بل على العكس فالجرس الموسيقي مكوِّن من مكوِّنات الصورة إلى جوار الألفاظ والدلالات والسياق .

خلاصة الأمر أن الصورة الفنية في القرآن لها أكثر من وسيلة للتعبير ؛ لأنها توظف كل العناصر المكوّنة لها في تحقيق المراد ، إضافة إلى التناسب القائم بينها .

ومن أنماط الصورة ومحاورها بشكل عام سواء أكانت في القرآن أم في غيره من النصوص الصورة الخيالية[3] ، ومن عناصر الصورة الخيالية : المجاز والتشبيه والاستعارة

---

[1] - أحمد الشايب ، أصول النقد الأدبي ، الطبعة العاشرة ، القاهرة ، 2002 ، ص 247

[2] - سيد قطب ، التصوير الفني في القرآن الكريم ، الطبعة الثامنة ، دار الشروق ، بيروت ،1983 ، ص 37 . وانظر : سيد جعفر الحسيني ، أساليب البيان في القرآن ، الطبعة الأولى ، مؤسسة الثقافة والإرشاد الإسلامي ، طهران ، 1993 ، ص 170

[3] - أحمد الشايب ، أصول النقد الأدبي ، مرجع سابق ، ص 247

والكناية والمثل ، والنمط الثاني ما يُسمى بالعبارة الموسيقية[1] أو الصورة الصوتية ، ومن خواصها جزالة الكلمة وحسن جرسها وسلامتها من العيوب ، فهذه الأنماط تتجاذب فيما بينها لتكون مع السياق العام للنص صورة متكاملة للمعنى المراد .

وأما الصور الفنية في سورة الحج فقد جاءت في أرقى أسلوب وأجمل عبارة، شأنها شأن باقي سور القرآن الكريم ، كما تنوع في سورة الحج عرض أنماط الصورة الفنية من مجاز واستعارة وتشبيه وكناية بشكل جعل النص يحقق غايته .

الاتساع الدلالي :

هو أن " يجيء الشاعر ببيت يتسع فيه التأويل على قدر قوى الناظرين فيه ، وبحسب ما تحتمل ألفاظه من المعاني "[2] ،والاتساع أيضاً " أن يقول الشاعر بيتاً يتسع فيه التأويل ؛ فيأتي كل واحد بمعنى وإنما يقع ذلك لاحتمال اللفظ واتساع المعنى "[3] .ولا يقتصر هذا على الشعر ، وإنما يدخل في مجال القول بعامة .

ولعل مجال الصورة الفنية يكون من أقدر الأساليب على الاختزال في اللفظ والاتساع في المعنى . وبهذا فالاتساع هو أن يكون للعبارة دلالات متعددة ، تصب كلها في بوتقة تفصيل المراد من هذه العبارة ، لأن غاية الاتساع محاولة الولوج إلى عمق بعض الدلالات المتسمة بأهمية كبيرة ، بحيث يتصور الذهن أن العلاقة بين الطرفين هي علاقة دمج بمعنى أن يصبح المشبه هو المشبه به ، ولا يتحقق ذلك إلا من خلال استعمال الصورة الفنية المنتقاة بعناية .

وبعد هذا البيان الموجز للصورة الفنية ، وتوضيح معنى الاتساع الدلالي ، يشرع البحث في الحديث عن أنماط الصورة الفنية في سورة الحج . ولما كان الأسلوب الاستعاريّ هو الأسلوب الأكثر انتشاراً في السورة فقد حاز قصب السبق في الابتداء، ثم تلاه الأسلوب الكنائيّ وتوضيح أشكاله التي جاء عليها ، ثم أُتبع بالحديث عن أسلوب التشبيه ودلالته وختم الفصل بالحديث عن أسلوب المجاز المرسل وعلاقاته التي وردت في السورة .

---

[1] - المرجع السابق ذاته ، ص 249 .

[2] - صفي الدين الحلبي ، شرح الكافية البديعية في علوم البلاغة ومحاسن البديع ، تحقيق نسيب نشاوي ، الطبعة الثانية ، دار صادر ،بيروت 1992 ، ص 278 .

[3] - ابن رشيق القيرواني ، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ،حققه وفصله ، وعلق حواشيه ، محيي الدين عبد الحميد ، الطبعة الخامسة ، دار الجيل ، بيروت – لبنان ، 1981 ، الجزء الثاني ، ص 93 .

أولاً : بنية الاستعارة الأسلوبية واتساعها الدلالي :

تحقق الاستعارة جمالية خاصة في كونها تقوم على حذف أحد طرفي التشبيه " إما المشبه ، وإما المشبه به ".

وعرف عبد القاهر الجرجاني الاستعارة بقوله : " واعلمْ أنّ الاستعارة في الجملة أن يكون للفظ أصل في الوضع اللغوي معروف تدل الشواهد على أنه اختص به حين الوضع ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذاك الأصل وينقله إليه نقلاً غير لازم فيكون هناك كالعارية "[1].

وأما الخطيب القزويني فيعرفها بقوله : " وهي ما كانت علاقته تشبيه معناه بما وضع له "[2] كما عرف السكاكي الاستعارة بقوله : " أن تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الآخر مدعياً دخول المشبه في جنس المشبه به دالا على ذلك بإثباتك للمشبه ما يخص المشبه به "[3].

وعرفها جابر عصفور بأنها : "علاقة لغوية تقوم على المقارنة شأنها في ذلك شأن التشبيه لكنها تتميز عنه بأنها تعتمد على الاستبدال أو الانتقال بين الدلالات الثابتة للكلمات المختلفة "[4] ، وفسرها قائلا : " وأقصد بذلك أن المعنى لا يقدم فيه بطريقة مباشرة بل يقارن أو يستبدل بغيره على أساس من التشبه "[5] ، وهذا ما يميز الاستعارة عن التشبيه لكون الاستعارة ينظر إليها من خلال طرف واحد ظاهر ، أما التشبيه فيُنظر إليه من خلال الطرفين معاً.

يُفهم من هذا أن هناك علاقة قائمة بين اللفظ الأصلي والمعنى المستعار له ، وهدف الاستعارة إيجاد جو مشحون من الروابط وتوضيحها ؛لأنّ من فوائد الاستعارة أنها تولد في

---

[1] - عبد القاهر الجرجاني ،أسرار البلاغة ، قرأه وعلق عليه أبو فهر محمود محمد شاكر ، الطبعة الأولى ، مطبعة المدني ، القاهرة ، 1991 ، ص 30

[2] - القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، شرح وتعليق محمد عبد المنعم خفاجي ، الطبعة الثالثة ، دار الجيل ، بيروت ، 1993 ، الجزء الثاني ، ص 37 .

[3] - السكاكي ، مفتاح العلوم ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، بلا ط ، بلا دار نشر ت ، ص 156 .

[4] - جابر عصفور ، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب ، مرجع سابق ، ص 201 .

[5] - جابر عصفور ، المرجع السابق ذاته ، ص 201

" النفس الدهشة والهزة والإعجاب "[1] أي إنها تطرق ذهن المتلقي على نحو مغاير لما يتوقعه إضافة إلى أنها تجعله يرتقي ويتأمل ليصل إلى مفهوم أعمق لهذا النمط من العدول .

كما تعتمد الاستعارة على" تفاعل الدلالات الذي هو بدوره انعكاس وتجسيد التفاعل لذات الشاعر مع موضوعها "[2] . بمعنى أن الاستعارة تتعدى حدود التشبيه إلى قضية التأثر و التأثير .

تُبين التعريفات السابقة أن الاستعارة تعتمد مبدأ الحذف والإحلال ، أي حذف أحد طرفي التشبيه ، وإحلال لفظ بصفة جديدة محل اللفظ الآخر لتأدية غرض ما من خلال كشف الرابط بين المشبه والمشبه به وكيفية حصول أو تحصّل الانسجام بينهما ، وهذا من صلب الدراسة الأسلوبية الحديثة ، التي تخالف الدراسة القديمة التي تسعى إلى تقدير المحذوف والتناسب بينهما[3] .

أما استعارات القرآن الكريم فلها مَزّية خاصة ؛ إذ يُلحظ فيها اعتمادها على "حسن تصويرها للمعنى فضلاً عن إيضاحه وهذا التصوير يكون في الغالب مترتباً على تخيّر الألفاظ وانتقائها "[4] ، كما يُلحظ على استعارات القرآن الكريم قيامها على " مراعاة حسن التشبيه الذي بنيت عليه ويظهر هذا بوضوح في الاستعارة المبنية على تشبيه محسوس بمعقول للمبالغة في المعقول بجعله أصلاً يقاس عليه المحسوس "[5] .

أي إنّ الاستعارة القرآنية لا تأتي هكذا دون قصد ، بل تتخير اللفظ المناسب الموحي للمعنى المراد ، بحيث لو حاولت تصوير معنى معين في استعارة ، وقمت بتغيير الألفاظ لوجدت نفسك عائداً رغماً عنك إلى الألفاظ التي استعملها القرآن الكريم في استعاراته ، بسبب القصور الذي تلاحظه بين ألفاظك والمعنى الذي تريده عند مقارنتها بألفاظ القرآن .

وبعد تتبع الاستعارات الواردة في سورة الحج تبين أن السورة قد استعملت أنواع الاستعارات - التصريحية – المكنية – التمثلية وكان أكثرها وروداً وتكرراً الاستعارة

---

[1] - نواف قوقزة ، نظرية التشكيل الاستعاري في البلاغة والنقد ، الطبعة الأولى ، وزارة الثقافة ، عمان – الأردن ، 2000 ، ص 88

[2] - جابر عصفور ، مجموعة أعمال جابر عصفور النقد الأدبي والصورة الفنية ، الطبعة الأولى ، دار الكتاب المصري ، 2003 ،ص 203

[3] - جابر عصفور ، الأعمال الكاملة ، المرجع السابق نفسه ، ص 204 .

[4] - شيخون محمد السيد ، الاستعارة ، نشأتها وتطورها في الأساليب العربية ، الطبعة الأولى ، دار الطباعة المحمدية بالأزهر ، القاهرة ، 1977، ص 95 – 96 .

[5] - شيخون ، الاستعارة ، المرجع السابق نفسه ، ص 97 .

المكنية ثم تبعتها الاستعارة التصريحية ، ثم الاستعارة التمثلية التي وردت ، وعند دراسة هذه الاستعارات تبين أنها تنحصر في أربعة محاور هي :

-أولاً : الصورة الاستعارية البصرية : -

وهي استعارة قائمة على المشهد البصري الذي يتخذ من الحاسة البصرية وسيلة له ، سواء أكان ساكناً أم حركياً ، وبالنظر إلى الاستعارات الواردة في السورة يُرى أن الجانب البصري أخذ مساحة واسعة فيها ، حيث وردت الاستعارات البصرية سبع عشرة مرة ، وذلك ليتناسب مع موضوعات السورة المطروقة ، من مثل الآيات التي جاءت في سياق ضرب الأدلة الكونية الدالة على قدرة الله ، من مثل خلق الإنسان وإنبات النبات ، وتسخير ما في الأرض و الفُلك التي تجري في البحر ، ومسك السماء من الوقوع على الأرض . وعند تتبع هذه الآيات الكونية تبين أن بعضها مشاهد بالعين المجردة كإنبات النبات وبعضها الآخر خفي في نشأته الأولى ولكن أثاره واضحة للعيان ، من مثل مراحل خلق الجنين في الرحم، فهو أمر غير مشاهد بالعين ، ولكن نتيجته ظاهرة وهي خروج الطفل ، وهناك صور بصرية غير ظاهرة للعيان ، من مثل قدوم الساعة فهي تحتاج إلى إيمان قلبي ، ولتوضيح السابق أورد بعض الأمثلة : -

- قوله تعالى : " **يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيٌ عظيم** "[1]

- وقوله : " **وأن الساعة آتية لا ريب فيها** " [2]

- وقوله : " **ولا يزال الذين كفروا في مرية منه حتى تأتيهم الساعة بغتة أو يأتيهم عذاب يوم عقيم** "[3]

- وقوله : " **وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج** بهيج "[4]

ففي الآيات السابقة يتبين أن الاستعارة المكنية اتخذت من حاسة البصر وسيلة لها ، حيث جاءت الاستعارات في الألفاظ التالية حسب الآيات السابقة " زلزلة الساعة ، الساعة آتية ، تأتيهم الساعة ، يوم عقيم ، اهتزت ، ربت ، أنبتت " فإسناد الزلزلة[5] للساعة على

---

[1] - الحج آية 1

[2] - الحج آية 7

[3] - الحج آية 55

[4] - الحج آية 5

[5] - انظر ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، مرجع سابق ، ج16 ، ص 187 .

سبيل الاستعارة ، والإتيان لا يكون إلا للعاقل ولكنه في الآيات أسند للساعة ، واليوم العقيم وقُصد به يوم القيامة شُبه بالمرأة التي لا تلد ، وكذلك الأمر بالنسبة لإسناد الاهتزاز والربو و الإنبات للأرض[1] .

فالاستعارات الواردة في لفظتي الزلزلة والاهتزاز المرتبطتين بالأرض يُلحظ فيهما أن الاهتزاز والزلزلة من حيث المعنى يدلان على الحركة ، والفرق بينهما أن الزلزلة تأتي مع الحركة العنيفة ، أما الاهتزاز فيأتي مع الحركة الخفيفة .

والآيتان استعملتا هذين اللفظين _ وكل منهما متناسب مع السياق الذي جاء فيه _ على سبيل الاستعارة التي اتخذت من حاسة البصر وسيلة لها لتصوير أمرين أحدهما يشاهد بالعين والآخر يحتاج إلى التخيل ، وتبيانها كالتالي :

الزلزلة أمر قد يكون مشاهداً وقد يكون خفياً يُرى أثره ، من مثل الاهتزاز الذي يحرك الأشياء ويدمرها ، فالحركة والتدمير أمران يُشاهدان بالعين المجردة ، ولكن الاهتزاز الخاص بإنبات النبات من الأرض غير مشاهد بالعين ولا يشعر به الإنسان ، ولكنه يرى أثره ، والأثر المقصود هنا ظهور النبات من الأرض . بمعنى أن هناك اهتزازين أحدهما يشعر به الإنسان ، وهو ما اختص بالساعة ، والثاني لا يشعر به الإنسان وهو خاص بالنبات ، والمُزلزل والمهتَز في الاثنتين " الأرض " ، ولكن الفرق بينهما في الأثر والنتيجة . فالاهتزاز الخاص بالساعة مؤشر وبداية للموت ، والاهتزاز الخاص بالنبات مؤشر وبداية للحياة .ومن هذا يتجلى التضاد من حيث الحدوث والنتيجة :

فمن حيث الحدوث :

الزلزلة الخاصة بالساعة تحرك الأشياء عن مقارها حركة عنيفة ، والنتيجة الدمار والموت ،أما الاهتزاز الخاص بالنبات فهو يحرك أجزاء الأرض الخفية ولا يشعر به أحد والنتيجة النبات والحياة .

مع ملاحظة أن كل سياق جاء بما يناسبه من لفظ ، فالحركة الشديدة ناسبتها الزلزلة والحركة الخفيفة ناسبها الاهتزاز ، وبين اللفظتين من حيث النطق اختلاف وتقارب من حيث اجتماع حرف التاء مع حرفي الزاي في مبنى الكلمتين ، ومن حيث اجتماعهما في المعنى العام وهو الحركة ، واختلاف من حيث الافتراق في سائر الحروف في مبنى الكلمتين ، وهو الذي يشير إلى الافتراق في كم الحركة ونوعها وسرعتها .

---

[1] - انظر ، محيي الدين الدرويش ، إعراب القرآن الكريم وبيانه ، الطبعة الرابعة ، دار الإرشاد للشؤون الجامعية ، حمص – سوريا ، 1994 ، الجزء السادس ، ص 398 -399 .

بقي أن نشير إلى أمر أخير في هاتين الاستعارتين وهو أنهما جعلتا الشيء الواحد يقوم على مبدأ التضاد ؛ فالأرض التي من شأنها إنبات النبات والمحافظة على الحياة هي نفسها تصبح السبب الأكبر في موت الحياة على سطحها .

أما الاستعارات التي جاءت تتحدث عن مجيء الساعة فهي قوله تعالى : "وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور " وقوله : " ولا يزال الذين كفروا في مرية منه حتى تأتيهم الساعة بغتة أو يأتيهم عذاب يوم عقيم " .

فيلحظ أن الاستعارات هنا قامت على مبدأ التبادل بين الصفات ، الذي يقصد به إعارة صفة بشرية لجماد أو العكس[1] ، فالتبادل وقع بين صفة بشرية وظاهرة زمنية فالمجيء والإتيان والعقم صفات بشرية ، والساعة واليوم ظواهر زمنية .

وغاية هذا التبادل التركيز على أهمية هذه الاستعارة في توضيح الدلالة التي يستهدفها القرآن.[2] والمستوى الذي جاءت عليه هذه الاستعارات :

مستوى الكلية[3] وهو ما جاء في سياق الاستعارات التي تحدثت عن مجيء الساعة ، حيث استعارت الساعة صفة وصفية كلية وهي المجيء ، أي المجيء كله وليس جزءاً منه .

أما المستوى الثاني فهو مستوى الجزء من الكل وهو ما جاء في قوله تعالى : " يوم عقيم " فالعقم صفة خاصة بالإنسان وهو جزء يندرج تحت حقل الولادة . وبهذا الشيء وهو العقم أصبح اليوم كائناً حياً مكتسباً صفة من صفات البشر وهو عدم القدرة على الإنجاب .

وهذه الاستعارة حققت أمراً سعت الآيات إلى تأكيده ، وهو أن يوم القيامة لا يوم بعده مثله حيث أفادت صفة العقم عدم التجدد بالتوالد .

من جهة أخرى تجدر الإشارة إلى أن الاستعارات القائمة على الصورة البصرية جاءت في سياقين هما :

1 - سياق الآيات الكونية الدالة على قدرة الله .

2 - سياق قيام الساعة .

والاستعارات في هذا المحور تقابل الاستعارات القائمة على الصورة المعنوية ، بمعنى أن السورة عندما ضربت الأمثال الدالة على قدرة الله تعالى وجعلتها مشاهدة بالعين ، كانت

---

[1] - محمود البستاني ، القواعد البلاغية ، مرجع سابق ، ص 194

[2] - البستاني ، المرجع السابق نفسه ، ص 195

[3] - البستاني ، المرجع السابق نفسه ، ص 102 – 193

تقصد من وراء ذلك تحقيق أمر قلبي ورد في بداية السورة وهو التقوى ، والتقوى أمر قلبي يتناسب مع الاستعارات المعنوية التي سيأتي بيانها لاحقاً .

ثانياً : الصورة الاستعارية اللمسية :

ويقصد بها الصورة القائمة على جعل حاسة اللمس محوراً أساسياً في السورة من أجل تحقيق غاية محددة . وردت الاستعارة القائمة على اتخاذ حاسة اللمس وسيلة لها في السورة ست مرات في سياق الآيات الدالة على العذاب والقسوة ، من مثل صهر الجلود وصب الحميم فوق الرؤوس والألم الناتج عنه كما في قوله تعالى : " **فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الحَمِيمُ ، يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالجُلُودُ ، وَلَهُمْ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ** "[1] فالعذاب واقع على حاسة اللمس ؛ ليستشعر قارئ الآيات هول العذاب من خلال الألفاظ الواردة في الآيات من مثل الصهر والتقطيع من النار وغيرها مما يحفزه للهرب من هذا العذاب الواقع ، إلى التمسك بسبيل نجاته وهو التقوى والإيمان.

والاستعارات التي اتخذت من حاسة اللمس صورة لها في السورة جاءت في الألفاظ التالية " يصهر ، قطعت ثياب " والمستوى الذي جاءت عليه الاستعارات في هذه الصورة :

- **مستوى الصياغة غير المباشرة**[2] حيث قامت هذه الصياغة على مبدأ التبادل الذي وقع بين شيئين ماديين وهما الحديد والبشر ، حيث أخذ البشر من الحديد القسوة ، والاستعارة هنا اتخذت من مستوى **الكلية** مبدأ لها حيث استعيرت صفة الصهر كاملة لتحقق غايتين هما:

1. أن الجلود البشرية في النار سميكة وغليظة وقاسية مثل الحديد .
2. والأمر الآخر إشارة إلى شدة العذاب الذي يصهر هذه الجلود القاسية .

أما الاستعارة الثانية التي جاءت في قوله تعالى : " قطّعت لهم ثياب من نار " ففيها استعارتان كل منهما متعلقة بالأخرى ، فالاستعارة الأولى وقعت في لفظة تقطيع الثياب ، والاستعارة الثانية وقعت في لفظة الثياب المكونة من النار ، لأن الثياب بالعادة لا تكون من النار ، بل من أشياء أخرى يتقبلها الجسد .

---

[1] - الحج آية 19 – 21

[2] - البستاني ، مرجع سابق ، ص 102 – 193

فتقطيع الثياب جاء هنا على سبيل الاستعارة التمثيلية[1] ، حيث استعيرت الثياب للنار للدلالة على الاشتمال عليهم كما تشتمل الثياب لابسها .

بمعنى أن النار تحيط بأبدانهم[2] كما يحيط الثوب بلابسه ،وذلك لأنه جعل الثياب المكونة من النار على قدر أجساد الكفار فتشتملهم وتحتويهم ، والصورة التي جاءت عليها هذه الاستعارة هي صورة **الاستعارة المزدوجة** ويقصد بها " الاستعارة التي يكون أحد طرفيها استعارة أيضاً "[3] ، فالقطع لا يكون إلا للشيء الصلب وهنا استعير للثوب ، والثوب في الحقيقة ليس صلباً ، بل يُلبس ليحمي الجسد ويستره ، ولكنه هنا صُنع من نار وهذه هي الاستعارة الثانية ، حيث خُلعت سمة التقطيع على الثياب ثم خُلعت سمة الثياب على النار .وحققت الاستعارة هنا غايتين هما :

1- لباس الكافرين يوم القيامة مصنوع من النار بدلالة اشتمال النار لأبدانهم.

2- قسوة العذاب المحيط بالكافرين وشدته بدلالة التقطيع .

ثالثاً : الصورة الاستعارية المعنوية

ويقصد بها الاستعارات التي جاءت بقالب معنوي " قلبي " أي أنها ذكرت أموراً معنوية قلبية ،كالكيد والخوف والكفر والإيمان وغيرها ، حيث شبهت أموراً حسية بأمور معنوية ، أو شبهت أموراً معنوية بمعنوي ، وبعد تتبع الاستعارات الواردة تحت هذا البند وإحصائها تبين أنها تكررت سبع مرات في السورة ، وعالجت أموراً معنوية مثل الكفر والإيمان ، والخضوع والطاعة ، والغمّ والحرية والخوف.

و مثالها قوله تعالى : "**يَدْعُو مِنْ دُونِ اللهِ مَا لا يَضُرُّهُ وَمَا لا يَنْفَعُهُ ذَلِكَ هُوَ الضّلال البَعِيدُ** " ، حيث استعير الضلال لمن أبعد في التيه[4]، والكفر والضلال أمران معنويان يندرجان تحت الحقل الديني ، الذي وردت ألفاظه بكثرة في السورة ؛ لأن السورة تسعى

---

[1] - محيي الدين الدرويش ، إعراب القرآن الكريم وبيانه، مرجع سابق ، ص 417 ،

[2] - انظر : شيخ زاده ، حاشية شيخ زاده على تفسير القاضي البيضاوي ، مكتبة الحقيقة ، بلا ط ، استانبول – تركيا ، 1991 ، الجزء الثالث ، ص 379 ، البقاعي ، نظم الدرر ، مرجع سابق ، ج13، ص 29 ، أبو السعود ، تفسير أبي السعود ، مرجع سابق ، ج5 ، ص 101 ، الألوسي ، روح المعاني ، مرجع سابق ، ج9 ، ص 134 ، الخازن ، تفسير الخازن ، مرجع سابق ، ج3 ، ص 285 ،أبو حيان الأندلسي ، البحر المحيط في التفسير ، طبعة جديدة بعناية الشيخ زهير جعفر ، دار الفكر ، بيروت لبنان ، 1992، الجزء السابع ، ص 495 – 496 ، وانظر الطوسي ، التبيان في تفسير القرآن ، تحقيق أحمد حبيب قصير العاملي ، الطبعة الأولى ، نشر مكتب الإعلام الإسلامي ، الجزء السابع ، ص 302.

[3] - محمود البستاني ، القواعد البلاغية ، مرجع سابق ، ص 195 .

[4] - انظر: محيي الدين الدرويش ، إعراب القرآن الكريم وبيانه، مرجع سابق ، ج6 ، ص 403

لتحقيق الغاية الأسمى وهي التقوى الواردة في أول السورة . وأما قوله تعالى :" كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق "، وقوله : " وجلت قلوبهم " وقوله : " هل يذهبنّ كيده ما يغيظ " فهذه الآيات وضحت أمورا قلبية ،كالغم الذي له صفة محسوسة وهي جعله كأنه شيء يسبب الضيق ، والخوف في " وجلت قلوبهم ، حيث تم خلع صفة بشرية على شيء مادي ، فالقلوب لا توجل ولا تخاف وإنما الذي يخاف هو الإنسان ، وكذلك الأمر في قوله " هل يذهبن كيده ما يغيظ " فالكيد والغيظ كلاهما أمران معنويان استعيرت لهما صفة بشرية وأسقطت عليهما .

والتبادل الواقع في الاستعارات السابقة هو تبادل صفات بين أجناس سواء أكانت من جنس واحد أم بين جنس وجنس آخر ، فالاستعارة الأولى السابقة تم فيها خلع صفة معنوية وهي الضلال على صفة معنوية أخرى وهي الكفر ، وأما استعارة الغم فقد تم فيها خلع صفة مادية على صفة معنوية ، والاستعارة الثالثة وهي خوف القلوب فقد تم فيها خلع صفة بشرية على شيء معنوي ، و الاستعارة الأخيرة التي تحدثت عن الكيد والغيظ ، فقد تم فيها خلع صفة بشرية وهي القدرة على الإذهاب على أمور معنوية وهي الكيد والغيظ .

وأما الاستعارة الواردة في آية السجدة وهي قوله تعالى :

"أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ العَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ"[1] فقد استعير السجود لحالة التسخير أو الانصياع أو الانقياد[2] التام لتدبيره تعالى ، فالاستعارة هنا أسقطت صفة معنوية وهي الطاعة والانقياد على شيء مشاهد وهو السجود .

والغاية التي حققتها الاستعارات السابقة تشخيص بعض الدلالات الموسومة بأهمية كبيرة بحيث لو جاء التشبيه ليشخصها لما أوفاها حقها .

---

[1] - الحج آية 18

[2] - ، أبو السعود ، تفسير أبي السعود ، مرجع سابق ، ج5 ، ص 100 ، وانظر : ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، مرجع سابق ، ج16، ص 226 .و انظر: محيي الدين الدرويش ، إعراب القرآن الكريم وبيانه، مرجع سابق ، ج6 ، ص 414

رابعاً: الصورة الاستعارية الذوقية

ويقصد بها الاستعارات القائمة على حاسة الذوق ، فقد جاءت كلها في سياق الآيات التي تحدثت عن العذاب ، لأن الألم المترتب على العذاب لا يُدرى مقداره إلا بالذوق[1] ، حيث وردت هذه الاستعارات في السورة في ثلاثة مواضع فقط وذلك في سياق الحديث عن العذاب الواقع على الكافرين ، كما يلمح في هذا النوع من الاستعارات جانب من السخرية والتهكم والاستهزاء لأن الذوق بالعادة لا يكون إلا للشيء اللذيذ .

والاستعارات الواردة في هذا المحور هي قوله تعالى : " ذوقوا عذاب الحريق"[2] ، " ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق "[3] ، وقوله : " نذقه من عذاب أليم "[4] فالتبادل وقع بين هذه الاستعارات في خلع صفة الذوق التي في جارحة اللسان على صفة أخرى وهي صفة الإحساس التي في جارحة الجلد ، وهذه الصياغة غير المباشرة تتدرج ضمن مستوى إكساب الشيء صفة شيء آخر على أنْ تكون فيه إعارة الصفة جزءاً من كل . فالذوق جزء من الأكل ، فكأن العذاب هنا شيء يؤكل ، والاستعارة هنا حققت بعداً دلاليا في هذه الصياغة ؛ بغية تعميق الصلة بين المتنافرين حتى ليبدوا شيئاً واحداً متجانساً ، فالمستمع لهذه الاستعارة لا يكاد يفرق بين صفة الذوق الخاصة بالأشياء اللذيذة ومدى انسجامها مع العذاب المحرق .

بقي أن نشير إلى التناسب الواقع بين هذه المحاور، فالصورة البصرية جاءت متناسبة مع الصور المعنوية ، بمعنى أنه قد يكون للصور البصرية أثر في تحقيق الصور المعنوية ، ومن جانب آخر يُلحظ تناسب مابين الصور الذوقية والصور الحسية ؛ لأنّ كلتا الصورتين وقعتا في مجال العذاب ، فالكافر يحس بجلده العذاب ويتجرعه في بطنه ، ومن هنا يتبين أنّ هذه الصور قائمة على التقابل والتناسب ، بمعنى أن الصور تتناسب فيما بينها لتشكل صورة كاملة ، وهي أن من يرى آيات الله في الكون يجب عليه أن يؤمن ويُخرج

---

[1] - البقاعي ، نظم الدرر ، مرجع سابق ، ج13 ، ص 30 .

[2] - الحج آية 22

[3] - الحج آية 9

[4] - الحج آية 25

الأمور السيئة من قلبه ،حتى يصبح القلب خالصاً ومؤمناً بربه وإلا فالعاقبة ستكون عذاباً أليماً في الآخرة .

وعلى ذلك يمكن القول بأن هذا المستوى الاستعاري للصورة بأنواعها المختلفة تحتويه ظواهر مادية وأخرى معنوية تحمل المتلقي على التأويل واستخلاص المعنى المراد ؛ وذلك بفضل خصائصها الأسلوبية التي تنطلق من الأبنية اللغوية نفسها .

فالصورة الاستعارية – على هذا الأساس – بنية جمالية ، تأخذ في اعتبارها حقيقة الآخر .

ثانياً :- بنية الكناية الأسلوبية واتساعها الدلالي :-

ويُقصد بالكناية " أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له باللغة ، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود فيومئ به إليه ويجعله دليلا عليه "[1] ، وعرفها السكاكي بقوله " هي ترك التصريح بذكر الشيء إلى ما يلزمه لينتقل من المذكور إلى المتروك "[2] ، والكناية من الأساليب الواردة في سورة الحج وتتشكل منها الصورة الفنية، بمعنى أن الكناية عبارة عن شيئين أحدهما مخفي يراد والآخر ظاهري متروك ، ولكون الكناية تتعلق بالمعنى المراد ولا تتعلق باللفظ المذكور سميت بذلك

وللكناية غايات وفوائد منها التفخيم والتعظيم وغيرها . أما الكنايات الواردة في سورة الحج فقد جاءت في سياقين ، كل سياق متمم للآخر فمنها ما جاء بصورة بصرية حركية أو بصورة حسية معنوية ، أو بألفاظ تدل على الحركة البصرية لتوضيح حالة معنوية ، ومثال على ذلك قوله تعالى : " **ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ عَذَابَ الحَرِيقِ**"[3] . فثاني عطفه كناية عن التكبر والخيلاء[4] ، وهي كناية عن معنى معنوي أو صفة معنوية .

وقوله تعالى :"**وَالبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا القَانِعَ وَالمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**" [5]. فوجبت جنوبها كناية عن الموت والسقوط[6] ويُلحظ في الكنايتين الواردتين سابقاً أن الكناية الأولى تم فيها تصوير وصف معنوي وهو التكبر بشيء محسوس وهو حركة بعض أعضاء الجسم .وأما الكناية الثانية فقد اتخذت من الحركة الحسية البصرية _ وهي عملية السقوط _ أسلوباً لها لتصور حالة معنوية وهي الموت .

---

[1] - الجرجاني ، دلائل الإعجاز في علم المعاني ،صحح أصله محمد عبده ، ومحمد محمود التركزي الشنقيطي ، ووقف على تصحيح طبعه وعلق حواشيه محمد رشيد رضا ، دار المعرفة ، بيروت ، 1978 ،ص52 .

[2] - السكاكي ، مفتاح العلوم ، مرجع سابق ، ص 170 .وانظر شرف الدين الطيبي ، التبيان في علم المعاني والبديع والبيان ، تحقيق هادي عطية مطر الهلالي ،الطبعة الأولى ،عالم الكتب مكتبة النهضة العربية ، 1987 ، ص 261

[3] - الحج آية 9

[4] - وانظر : ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، مرجع سابق ، ج16 ، ص 202 .و انظر: محيي الدين الدرويش ، إعراب القرآن الكريم وبيانه، مرجع سابق ، ج6 ، ص 400 . وانظر إبراهيم القطان ، تيسير التفسير ، ضبطه عمران أحمد أبو حجيلة ، الطبعة الأولى ، عمان – الأردن ، 1983 ، الجزء الثالث ، ص 173.

[5] - الحج آية 36

[6] - أبو السعود ، تفسير أبي السعود ، مرجع سابق ، ج5 ، ص 107 ، وانظر : أبو حيان الأندلسي ، البحر المحيط ، مرجع سابق ج7 ، ص 509 ،وانظر ابن عطية ، تفسير ابن عطية ، مرجع سابق ،ج10 ، ص 282 .

مما سبق يمكن توزيع الكناية الواردة في سورة الحج في محورين هما :

المحور الأول

1 - الكنايات الدالة على معنى معنوي .

ورد في هذا النوع ثلاث كنايات جاءت جميعها توضح الحالة النفسية والشعورية للأمور المتحدث عنها ، بمعنى أنها كشفت أموراً قلبية ، من مثل التكبر والبغض والشعور بالخزي والهزيمة .

و الكنايات الدالة على المعاني السابقة هي :

" ثاني عطفه " بمعنى التكبر[1] ، وقوله : "إن الله لا يحب كل خوان كفور " بمعنى البغض أي إن الله يبغض كل خوان كفور في أمانته[2] ، وقوله : " انقلب على وجهه " كناية عن الهزيمة[3] . وقوله تعالى :" ومن الناس من يعبد الله على حرف " كناية عن المتذبذب في دينه ، فالقرآن هنا ببلاغة أسلوبه شخص المعاني المجردة وهي الحالات النفسية والمعنوية قاصداً بذلك " توضيح حالة تزعزع العقيدة فيرسم لهذا التزعزع صورة تهتز وتترنح توشك على الانهيار "[4] .

وعند النظر في الكنايات السابقة يتبين أنها استعملت الصورة المباشرة في تفصيل المعنى المراد ، حيث استعملت الألفاظ الحسية وهي العِطْف والوجه لترسم الصورة المعنوية المراد كشفها وهي صورة المتكبر وصورة المخزي المهزوم .

يضاف إلى ذلك أن الأسلوب القرآني ناسب بين كل كناية والألفاظ التي جاءت بها من مثل الكناية الدالة على التكبر استعمل معها لفظ : " الثني " وهو الإعراض ولفظ العِطْف وهو الجنب ، فالإنسان عندما يشعر بالتكبر فانه يلوي عنقه ويعرض بجنبه.أما الكناية التي جاءت تدل على الخزي والخسارة فقد استعمل معها القرآن ألفاظ القلب والوجه فالإنسان عندما ينظر إلى وجه أخيه الإنسان يعرف من قسمات وجهه الحالة النفسية التي هو عليها ، فناسب استعمال الوجه الكناية الدالة على الخزي والإهانة .وأما الكناية الدالة على البغض فالمتأمل يلحظ فيها ما يلي :

---

[1] - وانظر : ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، مرجع سابق ، ج16 ، ص 202 .و انظر: محيي الدين الدرويش ، إعراب القرآن الكريم وبيانه، مرجع سابق ، ج6 ، ص 400 .، وانظر إبراهيم القطان ، تيسير التفسير ، مرجع سابق ، ج3 ، ص 173.

[2] - أبو السعود ، تفسير أبي السعود ، مرجع سابق ،ج5 ، ص 108 .

[3] - الألوسي ، روح المعاني ، مرجع سابق ، ص 124

[4] - سيد جعفر الحسيني ، أساليب البيان في القرآن ، مرجع سابق ، ص 170 – 171

أن لفظ الحب تناسب مع ذكر لفظ الجلالة وتم تنزيهه سبحانه عن استعمال لفظ البغض مع أن الكناية دلت عليه ، ويُلمح فيها أن في استعمال لفظة الحب جانباً من الأمل في قبول الله للمعرض عنه إذا تاب وأناب ، كما أن الكناية توضحت من خلال النقيضين وهما البغض والحب ، حيث تم استعمال لفظ معنوي لتوضيح معنى معنوي آخر .

2- الكنايات الدالة على الموت .

وردت هذه الكنايات في السورة أربع مرات ، وشملت جانبين مهمين في حقيقة الموت كنتيجة إما سلبية وإما إيجابية ، والمقصود بذلك أن الموت الناتج عن الطاعة هو أمر إيجابي ، وهو ما جاء في الكناية التي تحدثت عن نحر الأضاحي ،فموت الأضاحي ناتج عن تقديم طاعة لله ، وأما الموت الناتج عن المعصية فهو أمر سلبي ، لأنه جاء في الكناية الدالة على الانتحار. والكنايات الأربع التي جاءت في السورة جاءت موزعة على هذين النوعين بشكل متساوٍ، بمعنى أن كل قسم منها شمل كنايتين ، أضف إلى ذلك أن القسم الإيجابي جاء كاشفاً للقسم السلبي ، وتفصيل الكنايات كالتالي :

أ- **الكنايات الدالة على الموت الإيجابي** :

وردت في قوله تعالى : "ليذكر اسم الله عليه " وهي كناية عن الذبح والنحر[1] وقوله : " فإذا وجبت جنوبها " كناية عن السقوط والموت[2].

العلاقة بين الكنايتين السابقتين هي علاقة سبب ونتيجة فالكناية الأولى الدالة على النحر والذبح سبب لما دلت عليه الكناية الثانية ، فالناقة عندما تنحر فإنها تسقط على جنبها . يضاف إلى ذلك أن القرآن راعى في كناية السقوط الألفاظ المناسبة لها ، فقد استعمل مع الجنب لفظة الوجْب والتي تدل على السقوط ، هذا من الناحية اللغوية ، أما من توسع في النظر إليها فسوف يلحظ ما تحمله لفظة الوجب من دلالات وإيحاءات ، فالحاج عند انتهائه يقوم بنحر أضحيته ، ونحر الأضحية من واجبات الحج ، فتناسب الوجب مع معنى الواجب.

ب- **الكنايات الدالة على الموت السلبي** :-

---

[1] - أبو السعود ، تفسير أبي السعود ، مرجع سابق ، ج5 ، ص 104 ، وانظر الزمخشري ، الكشاف ، مرجع سابق ، ج3 ، ص 153 .

[2] - أبو السعود ، تفسير أبي السعود ، مرجع سابق ، ج5 ، ص 107 ، أبو حيان الأنلسي ، البحر المحيط ، مرجع سابق ،ج7 ، ص 509 .

وهي ما جاءت في حق المتشكك بنصرة الله لنبيه في قوله تعالى : " فليمدد بسب مـــن السماء ثم ليقطع فلينظر هل ذهب كيده ما يغيظ " كناية عن الاختناق والموت .

وأما ما جاء في حق الكافرين فهو قوله تعالى : " فأمليت للكـــافرين ثـــم أخـــذتهم " بمعنـــى أهلكتهم . فالكناية الأولى اتخذت شكل الإحالة ومعنى الإحالة "إحداث علاقة بين طرفين من خلال جعل أحدهما أمراً مستحيل الحدوث ، يشير بذلك إلى استحالة حدوث الطرف الآخر"[1] .فالإحالة هنا جاءت بالصورة غير المباشرة ، أي يستحيل على المتشكك أن يمدّ حبلاً إلـــى السماء ليقطع نفسه فيموت ، واستحالة وقوع هذا الأمر هي استحالة عدم نصرة الله لنبيه .

يضاف إلى ذلك أن حقيقة الموت الإيجابي جاءت تقابل حقيقة الموت السلبي ، وبيـــان ذلك أن الذي يقدم الهدي ويذبحه لوجه الله كأنه يفدي نفسه من الموت ، أي يحييها ولا يقتلها كفعل سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام مع ابنه إسماعيل عليه الـــسلام عنـــدما افتـــداه الله بكبش عظيم .

[1] - محمود البستاني ، القواعد البلاغية ، مرجع سابق ، ص 223

ثالثا : أسلوب التشبيه :

يعد التشبيه من أقدم الأنواع البيانية ظهوراً ؛ لأنه يقوم على علاقة قائمة بين شيئين . و قد يفضله بعض البلغاء ؛ لأنه يتميز عن غيره من الأنواع والأنماط البيانيـــة بالوضـــوح وعدم التعقيد ، كما ويقوم التشبيه على ذكر المشبه والمشبه به في الجملة ، وهذا ما يميـــزه عن الاستعارة التي تعتمد مبدأ الإحلال ؛ أي أن يحُلّ أحد ركني التشبيه مكان الآخر .

وللتشبيه فائدة في أنه يثبّت الخيال في النفس[1] ، فلا يجهد العقل فـــي تـــصور ركـــن التشبيه الآخر وتخيله ، ومن طرافة التشبيه نقله السامع من شيء مألوف إلى شيء طريف . وللتشبيه أهمية أخرى تتمثل في أنه يلجأ إلى عقد مقارنة بين شيئين أحـــدهما واضـــح فـــي الذهن والآخر غامض ، فيوضح بذلك العنصر الواضح العنصر الغامض ،وهو بهذه المزية قد يتفوق على الاستعارة ، مع الإشادة بأهمية الاستعارة وقـــدرتها علـــى إبـــراز المعنـــى وتشخيصه وإضفاء جو من الجمال على النص ،لذلك تعد الاســـتعارة والتـــشبيه والتمثيـــل أصولاً أكيدة في تكوين الكلام ؛ لأنها تشكل أقطاباً تدور عليها المعـــاني فـــي متـــصرفاتها وتحيط بها من جهاتها[2]. ويمكن تعريف التشبيه بأنه " صفة الشيء بما قاربه وشـــاكله مـــن جهة واحدة أو جهات كثيرة ، لا من جميع الجهات ، لأنه لو ناسبه مناسبة كلية لكان إيـــاه "[3] ، فالتشبيه مشابهة شيء بشيء من بعض الجوانب لا من كلها ، من خـــلال إيجـــاد علاقـــة ترابطية بين شيئين يكون أحدهما موضحاً للآخر .

ويمكن القول أيضاً عن التشبيه أنه : " علاقـــة مقارنـــة بـــين طـــرفين لاتحادهمـــا أو اشتراكهما في صفة ، أو حالة أو مجموعة من الصفات والأحوال "[4] .

ونخلص من ذلك إلى أن التشبيه يشترط فيه أن يُذكر المشبه والمشبه به معاً ، ويكون بينهما علاقة غير كاملة .

لم يرد أسلوب التشبيه كثيراً في سورة الحج .حيث جاء التشبيه متوزعاً على نمطين هما :

---

[1] - ضياء الدين بن الأثير ، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، قدمه وعلق عليه أحمد الحوفي وبدوي طبانة ، نهضة مصر للطباعة والنشر ، الفجالة – القاهرة ، ص 124

[2] - عبد القاهر الجرجاني ، أسرار البلاغة ، مرجع سابق ، ص 27

[3] - ابن رشيق القيرواني ، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، مرجع سابق ، ص 488 .

[4] - جابر عصفور، مجموعة أعمال جابر عصفور ، مرجع سابق ، ص 17

النمط الأول : التشبيه مجمل مفصل :

ويقصد به أن يأتي المشبه بحالة الإجمال ويأتي المشبه به مفصلا لهذا الإجمال ، ويمثل هذا القول ما ورد في قوله تعالى : " وترى الناس سكارى وما هم بسكارى " ، حيث اتخذ المشبه " الناس " صيغة الإجمال وجاء المشبه به وهو "سكارى وما هم بسكارى " مفصلا لهذا الإجمال .فيفهم السامع لهذه الآية أن الناظر لهؤلاء الناس الذين ستقوم عليهم الساعة يحسبهم سكارى من شرب الخمر وهم في الحقيقة ليسوا كذلك ، بل سبب رؤيتهم بهذه الحالة شدة هول الساعة ،يضاف إلى ذلك أن التشبيه قد أخذ من حاسة البصر وسيلة له ليشكل الصورة البصرية ، فالتشبيه هنا قد وظّف حاسة البصر في توصيف المشبه ،ومما يؤكد ذلك استعمال لفظة الرؤيا بقوله : "وترى ". فالصورة المتخيلة هي صورة أناس يترنّحون ويتمايلون لا لأنهم تناولوا شيئاً يجعلهم بهذه الحالة بل شدة ما هم فيه جعلهم كذلك.

النمط الثاني :الإفراد والتركيب

الإفراد

ويقصد بالإفراد : أن يأتي المشبه به مفرداً بسيطاً لا يتجاوز الصورة الواحدة [1] ،ومثال ذلك قوله تعالى : "وإن يوما عند ربك كألف سنة" ، فالطرف الأول " يوم " والطرف الآخر " السنة " ، والطرفان يتضمنان تفصيلا لصورة واحدة وهي التطويل[2]، أي أن المراد من المشبه والمشبه به وصف طول هذا اليوم .

التركيب

ويقصد بالتركيب أن يكون المشبه به مركبا من عدة صور[3]،متخذا شكل التفصيل ،ففي قوله تعالى : " ومن يشرك بالله فكأنّما خرّ من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق "فقد جاء المشبه وهو المشرك مفرداً [4] ، وجاء المشبه به مركباً من عدة صور ، فالصورة الأولى صورة الساقط من السماء ، والصورة الثانية صورة الطيور وهي تتخطف هذا الساقط ، والصورة الثالثة صورة الذي يفلت من الطيور فيهوي إلى مكان سحيق بعيد .

---

[1] - محمود البستاني ،القواعد البلاغية ، مرجع سابق ، ص180.

[2] - محي الدين الدرويش ،إعراب القرآن الكريم وبيانه ، مرجع سابق ، ص 488، البقاعي ،نظم الدرر، مرجع سابق ، ص66.

[3] - محمود البستاني ،القواعد البلاغية ، مرجع سابق ، ص181.

[4] - المرجع السابق نفسه ،ص180

فهذه الصورة المركبة توضح صورة صنفين من الناس تحدثت عنهما السورة ، وهما المشرك المصمم على شركه ، والمتذبذب ، والتناسب واضح بين الصورة المركبة للمشبه به وهذين الصنفين ، فالمتذبذب ناسبه الساقط من السماء فتتخطفه الطير وتمزقه ، ولفظة التخطف تتناسب مع عقلية المتذبذب التي تتلاعب بها الأهواء[1]، والمشرك المصمم على شركه ناسبه صورة المستقر في المكان السحيق ، ونظير تشبيهه بالاستقرار في الوادي السحيق حتى يبين مدى بعده عن السماء[2] أي بعده عن الحق والصواب .

رابعاً : أسلوب المجاز المرسل

المجاز على وزن " مَفعَل من جاز الشيء يجوزه إذا تعداه ، وإذا عدل باللفظ عما يوجبه أصل اللغة ، ووصف أنه مجاز على معنى أنهم جازوا به موضعه الأصلي ، أو جاز هو مكانه الذي وضع فيه أولاً "[3]،ويقصد من هذا المفهوم أن: يعدل اللفظ عن المعنى الذي وضع له في الأصل إلى معنى آخر ،والمجاز المرسل هو ما كانت " العلاقة بين ما استعمل فيه وما وضع له ملابسة التشبيه" [4] ،وللمجاز المرسل علاقات متعددة كالسببية والحالية والمحلية وغيرها .

يقوم المجاز المرسل على مبدأ الحذف أي حذف جزء من الجملة لوجود علاقة التناسب أو التجاور بين اللفظين كمثل : اشرب الكوب ،فالكوب لا يشرب ، ولكن يشرب ما فيه ، والعلاقة بين الكوب وبين ما فيه علاقة حالّ في محلّ .

جاء ذكر المجاز المرسل في سورة الحج قليلاً حيث ورد ثلاث مرات فقط في ثلاثة مواضع ،والمواضع الثلاثة هذه جاءت في سياق الحديث عن عاقبة الإنسان السيئة ، بمعنى أنه جاء في سياق العذاب الناجم عن سوء العمل فردياً كان أو جماعياً .

والعلاقات التي شملها المجاز المرسل في السورة هي السببية والمحلّية ،فالآية التي جاءت موضحة مبدأ السببية قوله تعالى : " ذلك بما قدمت يداك وأن الله ليس بظلام للعبيد "[5].

---

[1] - محي الدين الدرويش ، إعراب القرآن وبيانه، مرجع سابق ،ج6 ، ص 428 -429

[2] - محيي الدين الدرويش ،إعراب القرآن وبيانه مرجع سابق ، ج6 ، ص 429

[3] - عبد القاهر الجرجاني ، أسرار البلاغة ، مرجع سابق ، ص 395

[4] - الخطيب القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، ،مرجع سابق ، ص 20 .

[5] - الحج آية 10

فالآية ذكرت السبب المؤدي للعقوبة وأرادت المسبّب الناتج عنه، حيث استعملت مصطلح اليدين ؛ لأنهما المسؤولتان عن كسب الإنسان إن كان خيراً فخير ، أو شراً فشر ، كما أن في لفظة قدمت ما يدل على وجود اللوم للشخص المخاطب ، فالخزي الذي استحقه هو من كسب يديه ، يضاف إلى ذلك أن علاقة المجاز المرسل هنا اتخذت من الصورة البصرية الحركية وسيلة لها ، فالعمل الذي قدمه هذا الإنسان جاء متمثلاً فيما يراه فيزداد حسرة .

أما العلاقات الأخرى التي جاءت في السورة فهي علاقة المحليّة ، حيث جاءت في سياق الحديث عن عاقبة القرى التي كذبتْ رسلَ الله فأهلكها الله ، قال تعالى : " فكأين من قرية أمليت لها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد "وقوله : " و كأين من قرية أمليت لها وهي ظالمة ثم أخذتها واليّ المصير " [1]، فالمجاز المرسل هنا جاء في إنزال الجماد غير العاقل منزلة العاقل ؛ إما لتبيان بُعد الأقوام واحتقارهم فلم يذكرهم ، وأما لتبيان الأثر الناتج عن أفعالهم والتي تطال العاقل وغير العاقل من جماد وحيوان .

[1] - الحج آية 45 ، 48

الفصل الرابع

العدول الأسلوبي ودلالاته

مفهوم العدول الأسلوبي :

يكمن مفهوم العدول الأسلوبي في هذا الفصل عن كشف جماليات العدول الحاصل بين الضمائر بعضها مع بعض ، والعدول الحاصل بين الأفعال ، مع بيان غاية كل عدول.

يشكل العدول صدمة مفاجئة للقارئ في أثناء استرساله في القراءة ، فتثير عنده التساؤل لتحقق وتبعث فينفسه المتعة والتشويق ، وفي الجانب الآخر تحقق غاية بلاغية حصل من أجلها العدول .

العدول لغة من الفعل الثلاثي عَدَل حيث عرّفه ابن منظور بقوله : " العدْل أن تعدل الشيء عن وجهه ، وعدل عنه يعدل عُدولاً إذا مال ، كأنه يميل من الواحد إلى الآخر "[1] ، "وعدل الفحل عن الإبل إذا ترك الضراب "[2] ، فيفهم مما سبق أن العدول مخالفة المعتاد والانحراف عنه ، ومن معانيه الميل والازورار عن الطريق المتعارف عليه .

أما العدول اصطلاحاً فلم يظفر عند العلماء القدماء بتعريف محدد "وإنما جاء ليصف الخروج على النمط المألوف في التعبير وما جرى مجرى العادة ، ويبدو أن هذا المصطلح شاع وانتشر بين النقاد والبلاغيين وذلك في مناقشاتهم للفرق بين الحقيقة والمجاز"[3]، أي إنه لم يأخذ تعريفاً مميزاً وإنما جاء ليصف منهجاً أو أسلوب شاعر من الشعراء خرج فيه على المذاهب القديمة ، فيقولون عدل في شعره عن مذهب العرب ، وهو بهذا يتجاوز وصفه _ أي العدول _ بأنه ظاهرة واحدة ينعكس فيها كسر النظام اللغوي السائد[4] .

أما تعريفه حديثاً : فهو الانحراف عن القاعدة ، والخروج على قواعد النظم والتركيب[5] ،أو يمكن تعريفه بالتجاوزات النصية[6] في نص ما ، بمعنى أن يحدث في النص تجاوز للقاعدة النحوية ، التصريفية ، والتركيبية ،والصوتية ، وهذا التجاوز يُطلق عليه مصطلحات متعددة كالانزياح والعصيان والتجاوز والمخالفة والانتهاك ومخالفة السنن[7] .

---

[1] - ابن منظور ، معجم لسان العرب ، مرجع سابق ، ج 10 ، ص 63 .

[2] - نفسه ، ص 63 .

[3] - موسى ربابعة "الانحراف مصطلحا نقديا " مؤتة للبحوث والدراسات ، مرجع سابق ، مجلد 10 ، ص 147

[4] - نفسه ، ص 148 .

[5] - صلاح فضل ، علم الأسلوب ، مرجع سابق ، ص 154 - 156 .

[6] - فتح الله سليمان ، الأسلوبية مدخل نظري ودراسة أسلوبية تطبيقية ، مرجع سابق ، ص 7 .

[7] - عبد السلام المسدي ، الأسلوبية والأسلوب ، مرجع سابق ، ص 96

والعدول إما عدول خارجي[1] ، وهو اختلاف أسلوب النص عن القاعدة الموجودة في اللغة المدروسة . و إما عدول داخلي[2] ويقصد به انفصال وحدة لغوية ذات انتشار محدود عن القاعدة المسيطرة على النص في جملته .كأن يجري السياق على نمط واحد من الأفعال ، مثلاً أن تأتي الأفعال في السياق مضارعة ثم يأتي فعل ماض يشكل عدولاً عن النمط السياقي للنص ، وهو ما يعرف بالالتفات ، حيث يتمثل العدول فيه بخروج إحدى مكونات الضمائر عن النسق العام للسياق[3] ، كأن يعدل من ضمير الغيبة إلى المخاطب ، أو من ضمير المتكلم إلى المخاطب أو العكس . ولا يعني أن العدول الحاصل في مثل هذا النوع ليس له غرض أو مقصد بل على العكس فكل عدول "من تعبير إلى تعبير ، لا بد أن يصحبه عدول من معنى إلى معنى ، فالأوجه التعبيرية المتعددة ، إنما هي صور لأوجه معنوية متعددة "[4].

وانطلاقا من هذه التعريفات ، وبعد النظر في سورة الحج تبين أن العدول في السورة قد توزع على عدة محاور ، هي : محور الضمائر ، ومحور الأفعال ، ومحور التقديم والتأخير.

أولاً : العدول الأسلوبي في التقديم والتأخير :

من السمات الأسلوبية البارزة في سورة الحج سمة التقديم والتأخير وهي سمة مهمة لها فوائدها ، كما أنها بالإضافة إلى ما تؤديه من معان بلاغية تضفي على النص جمالاً وزينة، ناهيك عما تقدمه للقارئ من منبهات أسلوبية تجعله ينسجم مع النص ويلتفت إلى مقاصده .

إن سمة التقديم والتأخير تأخذ في القرآن مساحة واسعة ؛ وذلك لما تقدمه من جماليات وإيحاءات دلالية ، لأن لكل جملة معنى تؤديه وغرضا تقصده .

فالتقديم والتأخير في القرآن لم يأت اعتباطاً ، فمن يقدم بعض أجزاء الجملة أو يؤخر بعضها الآخر لا يفعل ذلك تفنناً في القول فقط ، بل يقصد من ذلك أمراً وينشد هدفاً .

---

[1] - صلاح فضل ، علم الأسلوب ، مبادئه وإجراءاته ،مرجع سابق ، ص 156 .

[2] - نفسه ، ص 156

[3] - عبد الله علي الهتاري ، الإعجاز البياني في العدول النحوي السياقي في القرآن الكريم ، الطبعة الأولى ، دار الكتاب الثقافي ، اربد – الأردن ، 2008 ، ص 14 .

[4] - فاضل صالح السامرائي ، معاني النحو ، الطبعة الثانية ، دار الفكر ، عمان – الأردن ، 2003 ، الجزء الأول ، ص 9 .

أشار عبد القاهر الجرجاني إلى ظاهرة التقديم والتأخير بقوله : " هو باب كثير الفوائد جم المحاسن ، واسع التصرف ، بعيد الغاية ، لا يزال يفترّ لك عن بديعه ، ويفضي بك إلى لطيفه " [1] . ويُلحظ في سورة الحج بروز هذه الظاهرة بروزاً يسترعي النظر ، كان لتقديم شبه الجملة " الجار والمجرور " النصيب الأكبر مع اختلاف موقعه إعرابيا .

إن تقديم الجار والمجرور يكون لغاية القصر غالبا ، أضف إلى ذلك العناية والاهتمام والاختصاص وغيرها من الأغراض البلاغية . وأشار إلى ذلك السامرائي في قوله " إن أغراض تقديم الجار والمجرور لا تختلف عن غيرها من أغراض تقديم المفعول به والحال والظرف وغيرها ، ومدار الأمر في ذلك هو العناية والاهتمام " [2] ، ويمكن إدراج صور التقديم والتأخير ضمن الدلالات التالية:

الاهتمام :

قوله تعالى : " **إِنَّ اللهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ إِنَّ اللهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ** " [3]

قوله تعالى : " **إِنَّ اللهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ**" .فقد تقدم الجار والمجرور " من تحتها " على الفاعل " الأنهار " ليفيد التوكيد والاهتمام وإدراك عظمة المُجري .

قوله تعالى : " **أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ** "[4] ، فقد أدى تقديم الجار والمجرور " من السماء " على المفعول به " ماءً "دلالة على الاهتمام ، أي اهتمام الله بخلقه بإنزاله لهم من السماء ماء فيه حياتهم وحياة الأرض ويؤكد ذلك فاصلة الآية ، فالله لطيف بعباده خبير بما ينفعهم .

قوله تعالى : "**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ** "[5] ، فالله سبحانه وتعالى خلق الأرض لكل المخلوقات ، ولكن سخر هذه المخلوقات لمنفعة الإنسان ، فالكلام هنا عن الإنسان ، وفهم ذلك من تقديم الجار والمجرور على المفعول به فلو قدم

---

[1] - عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، مرجع سابق ، ص83 .

[2] - فاضل السامرائي ، معاني النحو ، مرجع سابق ، ج 3 ، ص 91.

[3] - الحج آية 14

[4] - الحج آية 63

[5] - الحج آية 65

المفعول به " ما في الأرض " على الجار والمجرور " لكم " لكان مدار الآية على تسخير ما في الأرض ولكن العكس هو المراد . فأدى التقديم هنا معنى الاهتمام ، أي مدى اهتمـــام الله بعباده بأنْ سخر لهم ما في الأرض .

قوله تعالى : " **وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْـمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ** " [1]، فيتضح من تقديم الجار والمجرور " به " على المفعـول بـه " سلطانا " الاهتمام بالدليل[2] القاطع ، لأن من يأتي بتشريع من غير دليل فشريعته باطلة .

قوله تعالى : "**وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَـرُوا الْمُنْكَـرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكُمُ النَّارُ وَعَدَهَا اللهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ**"[3] ، فلقد تقدم الجار والمجرور في هذه الآية على المفعول به مـرتين وهما :

قوله : " تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر " ، وقوله : " يتلون عليهم آياتنا " حيـث أفاد تقديم الجار والمجرور فيهما الاهتمام بالحالة التي هم عليها عند سماع آيات الله ، ففـي الأولى كان التركيز على الذين كفروا وأما الثانية فكان التركيز على الوجوه ، وفهم ذلك من تقديم الجار والمجرور على المفعول به .

قوله تعالى : " **الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس إن الله سـميع بـصير** " [4]، فتقدم الجار والمجرور على المفعول به ليبين جنس الذين تم اصطفاؤهم لا غيـرهم .وأفـاد التقديم الاهتمام بالمذكور المقدّم .

قوله تعالى : " **وما جعل عليكم في الدين من حرج** " [5]، حيث تقدم الجار والمجـرور ليفيد معنى الاهتمام بالمخاطبين وهم هذه الطائفة المسلمة ورفع الحرج عنهم ، وليدل بـذلك على سماحة هذا الدين ويسره .

قوله تعالى : " **ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب لكم فيها منافع إلـى أجل مسمى ثم محلها إلى البيت العتيق** " [6]، حيث تقدم المسند " لكم " على المـسند إليـه " منافع " ليفيد معنى العناية بالعباد ، وتكمن العناية بالعباد في جعل الله للعباد ما يتملكونه .

---

[1] - الحج آية 71 .
[2] - ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، مرجع سابق ، ج16 ، ص 333
[3] - الحج آية 72
[4] - الحج آية 75
[5] - الحج آية 78
[6] - الحج آية 32-33

قوله تعالى : " **والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير ...**" ، حيث أفاد تقديم الجار والمجرور المسند " لكم" على المسند إليه وهو المبتدأ المؤخر" خير " ليفيد معنى العناية بالعباد .

قوله تعالى : " **أذن للذين يقاتلون بأنهم ظُلموا وان الله على نصرهم لقدير** "[1] ،حيث وقع الجار والمجرور" على نصرهم " بين المبتدأ وخبره لتركيز الاهتمام على نصرة المظلومين ، فمحط اهتمام الآية تأكيد النصرة .

قوله تعالى : "**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي البَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ** "[2]. حيث وقع الجار والمجرور " بالناس " بين المبتدأ وخبره ليدل على اهتمام الله بخلقه .

قوله تعالى : " **الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون** "[3].

حيث وقع الجار والمجرور " فيه " بين اسم كان وخبرها لدلالة الاهتمام بالشيء الذي تم الاختلاف عليه لا على الاختلاف .

التخصيص :

قوله تعالى : " **ثاني عطفه ليضل عن سبيل الله له في الدنيا خزي ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق** " [4]، فقد تقدم شبه الجملة " المسند على المسند إليه " في قوله " له في الدنيا خزي " ليفيد معنى التخصيص أي تخصيص الخزي لهذا المتكبر .

قوله تعالى : " **فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم** " [5]، حيث تقدم المسند وهو الجار والمجرور " لهم " على المسند إليه " مغفرة " ليفيد معنى تخصيص المغفرة لهذا الصنف من الناس .

قوله تعالى : " **وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ** "[6] في هذه الآية جاء تقدم الجار والمجرور " لهم" ليفيد معنى التخصي .

قوله تعالى : " **وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ** " [7]، حيث تقدم الجار والمجرور " المسند " وهو قوله " للظالمين "

---

[1] - الحج آية 39
[2] - الحج آية 65
[3] - الحج آية 69
[4] - الحج آية 9
[5] - الحج آية 50
[6] - الحج آية 57
[7] - الحج آية 71

على المسند إليه حيث نفى أن يكون هنالك نصير للظالمين ، فالتركيز على الظالمين لا على مصيرهم ، وهذا التركيز يفيد مع التقديم معنى التخصيص ، أي إذا بقيتم على ما أنتم عليه فلا نصير لكم ينصركم إذا أردتُ إيقاع العذاب بكم .

وعند تفحص هذه الصورة نلحظ أن حرف الجر " اللام " جاء مع اسمين أحدهما دال على المفرد وهو لفظ الجلالة في قوله " ولله عاقبة الأمور " ، والثاني اسم دال على الجمع ،وهو لفظ الظالمين ، والفرق بينهما يتضح من خلال السياق فلفظ الظالمين " الدال على الجمع " جاء في سياق الحديث عن المشركين الذين يعبدون آلهة غير الله ، فناسب ذكر الظالمين حال المشركين وتعدد آلهتهم ، وأما لفظ الألوهية فقد جاء مفرداً ليتناسب مع وحدانية الله ، وبهذا يتبين أن الصورتين جاءتا على شاكلة الطباق والمناقضة ، وذلك من عدة وجوه ، فصورة المؤمنين الموحدين + لفظ الجلالة الدال على المفرد ، والثانية صورة المشركين وتعدد آلهتهم + لفظ الظالمين الدال على الجمع .

قوله تعالى : " **له ما في السماوات وما في الأرض وإن الله لهو الغني الحميد** "[1] ، وفيه نلحظ تقدم المسند " شبه الجملة الجار والمجرور " على المسند إليه ليفيد معنى الاختصاص بالملك ، أي أن ما في السماوات وما في الأرض ملك لله وحده .

قوله تعالى : " **الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور** " [2]، حيث تقدم الجار والمجرور " المسند " وهو قوله : " لله " على المسند إليه " عاقبة الأمور " وأفاد ذلك تخصيص عاقبة الأمور لله وحده .

قوله تعالى : " **هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الحَمِيمُ ، يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالجُلُودُ** "[3] حيث تقدم فيها الجار والمجرور في ثلاثة مواضع هي على التوالي :

" لهم " ، " من فوق " ، " به " ، وأفادت هنا الاختصاص ، مع الملاحظ أنها جاءت في سياق الحديث عن أصحاب النار .

لم ترد الصورة الآتية إلا مرة واحدة فقط وأفادت معنى الحث والاختصاص ، وذلك في قوله تعالى : " **لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرها**

---

[1] - الحج آية 64
[2] - الحج آية 41
[3] - الحج آية 19-20

لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين "[1]، فسياق الآية يتحدث عن الأضاحي " الهدي " التي يقدمها الحجيج لله ، فهذه الأضاحي لا تنال الله بل يتحصل منها التقوى لذلك تقدم لفظ الجلالة " الله " على الفاعل لتبين أن هذا الهدي لا يكون إلا لله .

قوله تعالى : " **ولكل امة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام** "

وقوله تعالى : " **لكل أمة جعلنا منسكاهم ناسكوه** "[2]

حيث جاء الجار والمجرور " لكل " في محل نصب مفعول به ثان ، للفعل جعلنا وكانت غاية التقديم " التخصيص " أي التركيز على تخصيص كل أمة بمنسك معين .

القصر

ومن الآيات التي جاء فيها التقديم مؤدياً معنى القصر ما يلي :

قوله تعالى : " **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ البَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ العُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا المَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ**"

جاء التقديم في جملة " ونقر في الأرحام ما نشاء " حيث تقدم شبه الجملة " في الأرحام " لأن التركيز كان على مكان الاستقرار وهو الرحم، وليس على الموجود فيه.

وأيضاً قوله تعالى : " لكي لا يعلم من بعد علم شيئا ". فقد ورد التقديم في جملة " من بعد علم " لأن الهدف هنا ليس نفي العلم وإنما قصر المعنى على أن نهاية العلم تكون من بعد العلم مباشرة فجاء بحرف الجر " من " ليفيد ابتداء الشيء ، أي اقتصر أن يكون الجهل بعد العلم مباشرة وهذا ما أفاده التقديم .

قوله تعالى : " **يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه ذلك هو الضلال البعيد** "[3] ، تحدثت هذه الآية عن الذي يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه ، فهذا المنقلب على وجهه هو المتشكك في ربه ، فيدعو مع الله آلهة أخرى ، ويفهم هذا الأمر من خلال تقديم الجار والمجرور " من دون " على المفعول به " ما

---

[1] -الحج آية 37

[2] - الحج آية 34 ، 67

[3] - الحج آية 12

لا يضره " فأفاد التقديم في الجار والمجرور القصر ، أي قصر عدم النفع وعدم الضر على ذلك المدعو من دون الله ، وفيه إشارة إلى أن ذلك المدعو في أدنـــي درجـــات الحقـــارة ، والقرينة الدالة على ذلك لفظة " من دون " .

قوله تعالى : " **وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت ألا تشرك بـــي شـــيئا وطهـــر بيتـــي للطائفين والقائمين والركع السجود** "[1] ، حيث وقع التقديم في قوله : " بي شيئا " فلم يكـــن المقصود من الآية الحديث عن الآلهة التي تعبد من دون الله بل كان الأمر مقتـــصرا علـــى تنزيه الله من الشرك وإخلاص العبادة له فكان التقدير " لئلا تشرك بي في العبادة شيئا"[2]فجاء بالجار والمجرور ليقصر الأمر على عدم إشراك أي آلهة مزعومـــة مـــع الله . وإفـــراد الله بالعبادة .

قوله تعالى : " **إِنَّ اللهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَـــا الأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ**" ، حيث وقع الجـــار والمجرور " فيها " بين المبتدأ وخبره لتقصر الحديث على مكان التنعم وليس نوع النعـــيم ، كما يُفهم من الآيات أن الشيء المُحرّم على المؤمنين " الرجال " في الدنيا هو زينـــتهم يـــوم القيامة ، وأقصد بذلك الحرير والذهب .

قوله تعالى : " **قل يا أيها الناس إنما أنا لكم نذير مبين** " [3]، حيث وقع شـــبه الجملـــة الجار والمجرور " لكم " بين المبتدأ والخبر ليفيد معنى القصر[4] .

قوله تعالى : " **وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر** "[5] ، حيث تقدم الجار والمجرور " عليهم " على نائب الفاعل " آياتنا " ليقصر الحديث على الـــذين كفروا ، حيث جاءت الآيات في سياق الحديث عن الذين يسمعون آيات الله وهم منكرون لها فتصف حالهم حال الاستماع .

---

[1] - الحج آية 26

[2] -أبو السعود ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، مرجع سابق ، ج5 ، ص 103

[3] - الحج آية 49

[4] - أبو السعود ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، مرجع سابق ، ط2 ،ج5 ، ص 112

[5] - الحج آية 72

ثانياً : العدول في بنية الضمائر

ويقصد به كشف العدول الحاصل بين الضمائر الواردة في السورة ، وهو ما يسمى بالالتفات ، ويقصد به " نقل الكلام من أسلوب إلى آخر ، أعني من المتكلم أو الخطاب أو الغيبة إلى آخر منها بعد التعبير الأول "[1] ، أو هو " التحويل في التعبير الكلامي من اتجاه إلى آخر من جهات أو طرق الكلام الثلاث " التكلم والخطاب والغيبة " مع أن الظاهر في متابعة الكلام يقتضي الاستمرار على ملازمة التعبير وفق الطريقة المختارة أولا دون التحوّل عنها "[2] ، ولا يعني ذلك أن الالتفات يقع في الضمائر فقط بل قد يقع الالتفات في صيغ الأفعال أيضاً[3] . وأشار الشاذلي الهشيري إلى هذا بقوله:" فالالتفات وإن كان ينحصر في الرأي المشهور في التصرف في الضمير من حيث الحضور والغيبة فإنه يتسع في غير هذا الرأي إلى مفاهيم أخرى ، منها التصرف في الفعل من جهة الزمن "[4] .

وللالتفات فوائد جمّة كصيانة السمع عن الضجر والملل ، ودفع السآمة[5] وإضفاء معنى جديدٍ للجملة ، ولا يخفى ما للالتفات من وقع على السامع أو في نفسية القارئ للانتقال المفاجئ في سياق الخطاب من تعبير درج عليه النظم إلى تعبير جديد غير متوقع ، هادفاً إلى تنشيط السامع أو القارئ وإثارة اهتمامه ، وتحقيق معنى مقصود لا يحسن إلا بالالتفات .و سورة الحج شأنها شأن باقي سور القرآن الكريم ، لاشتمالها على العدول الحاصل في الضمائر متخذا عدة صور هي :

الصورة الأولى :

العدول من الغائب إلى المخاطب

وردت هذه الصورة في سورة الحج ثلاث مرات في صيغتين هما صيغة الإفراد وصيغة الجمع .

---

[1] - جلال الدين السيوطي ، معترك الأقران في إعجاز القرآن ، ضبطه وصححه أحمد شمس الدين الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، 1988 ، الجزء الأول ، ص 286 .

[2] - عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها ، الطبعة الأولى ، دار القلم ، دمشق ، 1996 ، الجزء الأول ، ص 479 .

[3] - جلال الدين السيوطي ، معترك الأقران ، مرجع سابق ، ج1 ، ص 291 .

[4] - الشاذلي الهشيري ، الالتفات في القرآن الكريم " حوليات الجامعة التونسية " العدد 32 ، 1991 ، ص 132 .

[5] - جلال الدين السيوطي ، معترك الأقران ، مرجع سابق ، ج1 ، ص 286 .

فمما جاء من هذا النوع بصيغة الجمع : قوله تعالى: " **وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالعَـذَابِ وَلَـنْ يُخْلِفَ اللهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ** "[1]

وقع العدول في قوله : " يستعجلونك " الذي يدل على ضمير الغائب هم وقوله : " تعـدون " الذي يدل على ضمير المخاطب أنتم ، وغاية العدول "إظهار غاية ضيق عطـنهم المـستتبع لكون المدة القصيرة عنده تعالى مدداً طوالاً عندهم[2] " ، كما يفيد استحالة مجيئه قبـل وقتـه الموعود ، وفيه استطالة لليوم ؛ إما لشدته وإما لأنه من أيام الآخرة[3] ، ويلحظ في العـدول إلى المتكلم أيضا صيغة التهديد ولهجة التحذير من نكاله[4] سبحانه ، لأن سياق الآيـة يـدور في فلك استعجال العذاب . وقد عبر هنا بالسنة لقصد التطويل[5] ، كما تناسـب ورود لفـظ العدّ مع السنة .

و قوله تعالى : " **وَإِنْ جَادَلُوكَ فَقُلِ اللهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ** "[6]. فقد وقع العـدول بـين لفظتي " جادلوك _ هم _ و تعملون _ أنتم _ أي عدل من الغيبة إلى المخاطب ليفيد الوعيد[7] والتهديد[8].

وأما ما جاء من هذا النوع بصيغة الإفراد : فقوله تعالى : " **ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُـضِلَّ عَـنْ سَبِيلِ اللهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ عَذَابَ الحَرِيقِ ، ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ** "[9] فقد وقع العدول من ضمير الغائب " هو " الذي دل عليه السياق في قوله " ليضل ، " إلى ضمير المخاطب بقوله "يداك " "والالتفات لتأكيد الوعيد وتشديد التهديـد "[10].

---

[1] - الحج آية 47

[2] - محمد بن جرير الطبري ، جامع البيان عن تأويل أي القرآن ، المعروف تفسير الطبري ، ضبط وتعليق محمود شاكر ، تصحيح علي عاشور ، الطبعة الأولى ، دار إحياء التراث العربي ، 2001 ، الجزء 17 ، ص 130 وانظر تفسير أبي السعود ، مرجع سابق ، ج5 ، ص 112

[3] - انظر تفسير أبي السعود ، مرجع سابق ، ج5 ، ص 112 ، وانظر تفسير البيضاوي ، مرجع سابق ، ج 4 ، ص 131

[4] - البقاعي ، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، مرجع سابق ، ج 13 ، ص 66 .

[5] - البقاعي ، نظم في تناسب الآيات والسور ، المرجع السابق نفسه ، ص 66

[6] - الحج آية 68

[7] - تفسير أبي السعود ، مرجع سابق ، ج5 ، ص 112

[8] - البقاعي ، نظم في تناسب الآيات والسور ، مرجع سابق ، ص 90

[9] - الحج آية 9 -10

[10] - تفسير أبي السعود ، مرجع سابق ، ج5 ، ص 97 . وانظر تفسير البيضاوي ، مرجع سابق ، ج4 ، ص 116 ، وانظر الألوسي ، روح المعاني مرجع سابق ، ج9 ، 123

الصورة الثانية:

العدول من صيغة الجمع إلى صيغة الإفراد

ويقصد بها العدول من ضمير المخاطب الدال على الجمع إلى صيغة الضمير المخاطب الدال على المفرد ، وجاءت هذه الصورة في قوله تعالى : " **يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ** " [1]

فالعدول وقع بين " ترونها وترى " فسياق الآية جاء في الحديث عن أهوال قيام الساعة وفي تصوير حال الناس عند وقوعها ، فابتدأ السياق بصيغة الجمع " ترونها " ليدل على أنها في قيامها تشمل الجميع ، ثم عدل بالسياق إلى الإفراد ، وهذا " الاختلاف بالجمعية والإفراد لما أن المرئي في الأول هي الزلزلة التي يشاهدها الجميع ، وفي الثاني حال مِنْ عدا المخاطب منهم فلا بد من إفراد المخاطب على وجه يعم كل واحد منهم لكن من غير اعتبار اتصافه بتلك الحالة ، فإن المراد بيان تأثير الزلزلة في المرئي لا في الرائي "[2] .

وقوله تعالى : " **وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ** " [3]، حيث وقع العدول في قوله : " بوأنا " بضمير المتكلم الجمع – مع ملاحظة أن المقصود في الجمع هنا التعظيم لا التعدد – إلى ضمير المتكلم المفرد بقوله : " بي " والغاية من ذلك أنه لما تكلم عن فضله على سيدنا إبراهيم – عليه السلام ناسبه استعمال ضمير الجمع الدال على العظمة ، ولكن لما تحدث عن التوحيد عدل بالسياق إلى ضمير المفرد المتكلم ليناسب الإفراد التوحيد ، فلو بقي السياق على ما ابتدئ به – واقصد الجمع – فقال لا تشرك بنا لذهبت بالقارئ الظنون كل مذهب ، فحسن العدول هنا من جهتين :

الأولى : تناسب ضمير الجمع الدال على العظمة مع منة الله وفضله في التوبئة فقل " بوأنا"

الثانية : تناسب ضمير الإفراد مع الوحدانية وعدم الشرك فقال " لا تشرك بي شيئا "

---

[1] - الحج آية 2

[2] - تفسير أبي السعود ، مرجع سابق ، ج5 ، ص 92 ، وانظر البيضاوي ، تفسير البيضاوي ، مرجع سابق ، ج4 ، ص 113 .وانظر الألوسي ، روح المعاني ، مرجع سابق ،ج 9 ، ص 112-113

[3] - الحج آية 26 .

الصورة الثالثة :

العدول من ضمير غائب إلى ضمير غائب مغاير

جاءت هذه الصيغة في قوله تعالى : " **وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ** "[1] فالعدول في الآية وقع بين لفظتي الإتيان : " يأتوك " الدال على ضمير الجمع الغائب المذكر و" يأتين " الدال على ضمير الجمع الغائب المؤنث ،فيأتوك المقصود بها من يأتي للحج سيراً على قدميه ، دون استعمال وسيلة نقل ، أما يأتين فالمقصود بها من جاء للحج راكبا على الضوامر _ وهي الإبل التي أتعبها السير فهي مهزولة[2]_ ، من طول السير .

أما " رجالا " فهم الذين جاءوا للحج مشاة ، جمع راجل[3] . فبدل أن يقول يأتوك و يتبعها بيأتوك عدل عن السياق فقال يأتين وفي هذا العدول من العاقل المذكر الغائب وهم المشاة إلى الغائب المؤنث غير العاقل وهي الإبل، تكرمة للإبل لقصدها الحج مع أربابها[4] ، أو للدلالة على " كثرة الآتين من الأماكن البعيدة "[5] . ودلالة التكثير فُهمت من استعمال لفظة " كل "[6] .

أما في قوله تعالى : " **هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الحَمِيمُ** "[7] . فقد وقع العدول في لفظتي "خصمان" الدال على المثنى الغائب ، و"اختصموا" الدال على الجمع الغائب ، و العدول هنا في اختصموا محمول على المعنى[8] ، ومن قرأ اختصما فقد حمل على اللفظ[9] . فالذي حمل

---

[1] - الحج آية 27

[2] -أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، الطبعة الخامسة ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، 1996 ، الجزء 12 ، ص 27 ، وانظر ابن عطية ، تفسير ابن عطية المسمى المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، مرجع سابق ، ط1 ، ج10 ، ص 265 ، وانظر الألوسي ، روح المعاني مرجع سابق ، جزء 9 ، ص144

[3] - تفسير أبي السعود ، مرجع سابق ، ج5 ، ص 104

[4] - القرطبي ، الجامع لأحكام القران ، مرجع سابق ، ج12 ، ص 27

[5] - الألوسي ، روح المعاني مرجع سابق ، ج 9 ، ص144

[6] - الألوسي ، روح المعاني المرجع السابق نفسه ، ج9 ، ص144

[7] - الحج آية 19 .

[8] - تفسير أبي السعود ، مرجع سابق ، ج5، ص 101 ، وانظر تفسير البيضاوي ، مرجع سابق ، ج4 ، ص 120 ، وانظر السمّين الحلبي ، الدر المصون في علوم كتاب الله المكنون ، تحقيق الشيخ علي محمد معوض وآخرون ، قدمه وقرضه أحمد محمد صيرة ، دار الكتب العلمية ، بيروت –لبنان ، 1994 ، الجزء الخامس ، ص 134 ، وانظر الزمخشري ، الكشاف ، مرجع سابق ، ج3 ، ص 148 .

[9] - الألوسي ، روح المعاني ، مرجع سابق ، ج9 ، ص 133 .

على المعنى قصد أن كل خصم جماعة ، ومن حمل على اللفظ فقد راعى اسم الإشارة " هذان " .

ثالثا : محور الأفعال والعدول فيها :

زخرت سورة الحج بالعديد من الأفعال بصيغها المختلفة الماضي والمضارع والأمر ،ولتنوع هذه الأفعال وكثرتها ظهرت فيها ظاهرة العدول الأسلوبي فيما بينها ، وتمحور هذا العدول على ست صور، شملت جميع أنواع الأفعال من مضارع وماض وأمر ومبني للمجهول ومبني للمعلوم ، كان أبرزها العدول من الماضي إلى المضارع ،حيث تكرر ست مرات وأما الصور الأخرى وهي : من مضارع إلى ماض ،ومن ماض إلى أمر ...، وغيره ،فلقد ورد كل واحد منها مرة واحدة فقط لتتآزر فيما بينها كاشفة جمال التعبير القرآني فيها ،إضافة إلى إبراز معانٍ ودلالات جديدة ،وأبدأ هنا بذكر الأكثر وروداً لأنه الأحق في الابتداء .

الصورة الأولى : العدول من الماضي إلى المضارع :

شملت بعض الآيات عدولا من صيغة الماضي إلى صيغة المضارع لدلالة معينة ومقصد منشود على النحو الآتي :

قوله تعالى : " **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَالمَسْجِدِ الحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً العَاكِفُ فِيهِ وَالبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ**"[1] ، فقد ورد العدول من الفعل الماضي " كفروا "إلى الفعل المضارع " يصدون " وذلك ليحقق كفرهم ويثبّته لهم في الماضي ،ويدل على استمرارية صدهم عن سبيل الله ،لأنّ الفعل الماضي كما هو معروف يدل على تحقيق وقوع الشيء في الماضي ،وأما المضارع فإنه يفيد استمرارية وقوع الشيء إلى المستقبل ،وهذا ما أدته هذه الآية من خلال العدول الذي حصل فيها ،بمعنى أن فعل الصدود منهم " مستمر دائم "[2]،

---

[1] - الحج آية 25 .

[2] - الزمخشري ،الكشاف ،مرجع سابق ، ج 3 ص151، وانظر تفسير البيضاوي، مرجع سابق ،ج 4 ،ص122، والبحر المحيط ، ص498. وانظر الطبري ،تفسير جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مرجع سابق ، ص162 ،وانظر البقاعي ، نظم الدرر ، مرجع سابق ، ص 33، وانظر حاشية شيخ زادة على تفسير البيضاوي ، مرجع سابق ، ص 379 .

فيلحظ هنا كيف أدى هذا العدول هذه المعاني الدقيقة ،إضافة إلى حسن التركيب .

قوله تعالى : " **هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الحَمِيمُ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالجُلُودُ** "[1] ،حيث ورد العدول من صيغة الماضي في " اختصموا " إلى صيغة المضارع في " يصب ، يصهر " ،وذلك ليفيد تجدد العذاب واستمراريته ،أما صيغة الماضي في " قطعت " فاختصت باللباس الخاص بأهل النار ليفيد أن هذا الأمر ملتصق بهم لا محالة ، وهو أمر تام ومحقق كوقوع الفعل الماضي ،لذلك " عبر بالماضي لأنّ الإعداد قد وقع "[2] ،وأما المضارع في "يصب ،ويصهر " فإنه يفيد استمرارية هذا العذاب وتجدده وهو " صب ،الحميم " وصهر ما في البطون .

قوله تعالى : " **حُنَفَاءَ للهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ** "[3] يُلحظ أنه قد جاء بالفعل الماضي "خر " ثم عدل إلى استعمال الفعل المضارع " فتخطفه ، وتهوي " ليصور الحالة العجيبة للمخاطَب إضافة إلى تجدد هذا الخطف لكل من يشرك سواء في الحاضر أو في المستقبل .

جاء في تفسير روح المعاني " وفي إيثار المضارع إشعار باستحضار تلك الحالة العجيبة في مشاهدة المخاطَب تعجيباً له "[4] ، ومن لطائف هذه الآية أنها ابتدأت بفعل الشرك مضارعا ليفيد استمرارية حالة من يشرك بالله بمثل من تخطفه الطير أو تهوي به الريح لأنه جاء بصيغة المضارع للفعل يشرك ، بمعنى أن من يشرك بالله فهذه حاله على الدوام .

قوله تعالى : " **أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ** " [5] ففي هذه الآية جاء بصيغة الماضي لفعل الإنزال ، وعدل إلى صيغة المضارع في تصبح ؛ وذلك لإثبات إفادة بقاء أثر المطر " فان قلت : هل لا قيل فأصبحتْ ؟ ولم صُرف إلى لفظ المضارع ؟ قلت :لنكتة فيه ،وهي إفادة بقاء أثر المطر زماناً بعد زمان " [6].

---

[1] - الحج آية 19 -20

[2] - الألوسي ،تفسير روح المعاني ، مرجع سابق ،ج 9 ، ص134.

[3] - الحج آية 31 .

[4] - المرجع السابق ،ص 149 .

[5] - الحج آية 63 .

[6] -الزمخشري ،تفسير الكشاف ، مرجع سابق ، ج 3 ،ص 168 .

قوله تعالى : " **أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي البَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ** " [1] ، جاء العدول بين فعل سخر بصيغة الماضي إلى تجري بصيغة المضارع ؛ لأن الفلك من المسخرات في الأرض ؛ فعدل عن استعمال صيغة الماضي التي تدل على انقطاع الشيء إلى استعمال الأسلوب المناسب الذي يفيد التجدد والحدوث وهو الفعل المضارع " إضافة إلى إنه " قد يدل على التكرار والتجدد والتطاول "[2] ، ومن هذا يتضح أن مجيء فعل الجريان على صيغة المضارع جاء ليناسب حركة الفلك في البحر .

قوله تعالى : " **وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الإِنْسَانَ لَكَفُورٌ** "[3] ، في هذه الآية جاء الإحياء بصيغة فعلين أحدهما ماضٍ والآخر مضارع ،ثم جاء بنقيض الحياة وهو الموت بصيغة المضارع ، وذلك ليبين أنّ الحياة الأولى وقعت وحصلت وتحققت ، وأما الموت فإنه سوف يتحقق ، فما دام الموت سوف يتحقق فالحياة بعده سوف تتحقق أيضاً، وهذا سبب مجيء لفظي الموت والحياة الثانية بصيغة المضارع هذا من جانب ، ومن جانب آخر لو استعمل للموت صيغة الماضي لحدث تناقض فكيف يتحدث معنا ويخبرنا ونحن أموات ؟

كل هذه الصيغ الالتفاتية وتشكيلاتها المختلفة على " التثنية والجمع والفاعلية والمفعولية " ؛ ليكتشف الآخر المتلقي هذا السر العظيم في إرادة الله سبحانه وتعالى .

الصورة الثانية : العدول من صيغة المضارع إلى صيغة الماضي

وذلك في قوله تعالى : " **حُنَفَاءَ للهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ** " [4] ، حيث تم العدول من صيغة المضارع " يشرك " إلى صيغة الماضي " خر " ليفيد تحقيق سقوط المشرك ،و ليوقعه موقع الحدث المحقق ، لأن الماضي يفيد تحقق الشيء وانقضاءه وجاء بصيغة الفعل المضارع " يشرك " ليفيد معنى استمرارية سقوط المشرك بمعنى أن هذه حال كل مشرك .

---

[1] - الحج آية 65

[2] - فاضل السامرائي ،معاني النحو ، مرجع سابق ،ج4 ،ص 167 .

[3] - الحج آية 66 .

[4] - الحج آية 31 .

الصورة الثالثة : العدول من صيغة المضارع إلى صيغة الأمر :

وردت هذه الصورة في قوله تعالى : " **وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ، لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا البَائِسَ الفَقِيرَ** " [1] ، جاء العدول في قوله " يذكروا " إلى صيغة الأمر " فكلوا " والأمر هنا " للإباحة "[2] ، أما الإطعام فكان الأمر فيه " للندب " [3].

الصورة الرابعة : العدول من صيغة المضارع المعلوم إلى صيغة المضارع المجهول :

وردت هذه الصورة مرة واحدة في وصف أهل النار وكيفية محاولتهم الهروب من العذاب ، وذلك في قوله تعالى :" **كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الحَرِيقِ** " [4] ،ففي هذه الآية عدل من المضارع المعلوم" يخرجوا " إلى صيغة الماضي المجهول " أعيدوا " ، وذلك ليبين أنّ عودتهم للنار ليست بمحض إرادتهم بل جاءت رغماً عنهم ، يضاف إلى ذلك أنه جاء بصيغة المضارع ليدل على تجدد محاولتهم الخروج من النار واستمراريتهم في المحاولة ، وأيضا يُستشف من هذا شدة العذاب ؛ وذلك من خلال السياق الذي يدل على محاولتهم الخروج من النار ،هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى أفادت صيغة الماضي المجهول معنى التحقير لهم ، كما نلمح معنىً آخر من خلال عدول السياق إلى صيغة الأمر في قوله : " وذوقوا " ، ما يُستشف من جعل العذاب ماثلا أمامهم وتبكيتهم وتحقيرهم وتأكيد العذاب لهم من خلال صيغة الأمر المباشرة .

الصورة الخامسة : العدول من صيغة الماضي المبني للمعلوم إلى صيغة الماضي المبني للمجهول :

وردت هذه الصورة مرة واحدة في قوله تعالى : " **وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ، وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ، وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَى فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ** " [5] ، فقد استعمل هنا لفظ الماضي المبني للمعلوم عند ذكر " تكذيب الأقوام لرسلهم " وهؤلاء الأقوام معلومون وهم " قوم نوح وعاد وثمود وقوم

---

[1] - الحج آية 27 -28

[2] - الألوسي ، تفسير روح المعاني ، مرجع سابق ، ج 9 ، ص 146 .

[3] - المرجع السابق ، ص 146 .

[4] - الحج آية 22 .

[5] - الحج آية 42- 44

إبراهيم وقوم لوط وأصحاب مدين " ، ولكنه عندما أراد الحديث عن سيدنا موسى عليه السلام لم يذكر قومه بل جاء بصيغة الماضي المبني للمجهول ؛ ليفيد أن من كذب موسى ليسوا قومه بل هم قبط مصر . قال الزمخشري في كشافه : " فإن قلت : لم قيل : كُذّب موسى؟ قلت : لأن موسى ما كذبه قومه "بنو إسرائيل" ، وإنما كذبه غير قومه وهم القبط ، وفيه شيء آخر كأنه قيل بعدما ذكر تكذيب كل قوم رسولهم ، وكذب موسى أيضا مع وضوح آياته وعظم معجزاته فما ظنك بغيره " [1] ، مع ملاحظة أن هذه الصورة أيضا جاءت في فعل التكذيب فقط ولم ترد في غيره .

الصورة السادسة : العدول من صيغة المضارع المعلوم إلى صيغة مضارع معلوم مغاير:

وأقصد هنا مجيء صيغتي المضارع المعلوم ، ولكن باختلاف كل صيغة عن الأخرى وذلك في قوله تعالى : " **أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُور** " [2]، حيث ورد العدول في الفعلين " يسيروا ، وتكون " فجاء الأول بالياء وجاء الثاني بالتاء ، وذلك ليجعل الكلام محمولا على القلوب والآذان ، وليفيد الحث على السير ، فعبّر بالمضارع وأراد الماضي ، لأن الفعل المضارع هنا أفاد المضي ، فلو استعمل الماضي لدل على أنهم ساروا وكانت لهم قلوب يعقلون بها وليس هذا المعنى المطلوب ، بل المطلوب حثهم على السير ليعتبروا ولا يكون الاعتبار إلا لمن له قلب يعقل به ، وأذن يسمع بها .

فالسير هنا والكينونة ليستا حاصلتين ، والدليل على ذلك استعمال صيغة الفعل المضارع لهما " ذلك أن المعنى في المضارع هنا عدم الحصول ، والمعنى في الماضي يفيد الحصول " [3] .

رابعا : محور العدول في صيغ الاشتقاق :

ويقصد به عدول بعض الأسماء إلى الأفعال ، أو عدول بعض الأفعال إلى الأسماء ، وذلك من أجل أنْ يكتسب المعدول بعض صفات المعدول عنه .

وأشار إلى هذا النوع من العدول في السورة كل من الألوسي في روح المعاني ، وأبي السعود في إرشاد العقل السليم[1] .

---

[1] - الزمخشري ، الكشاف ، مرجع سابق ، ج 3 ،ص 161 .

[2] - الحج آية 46

[3] - فاضل السامرائي ، معاني النحو ، مرجع سابق ، ج3 ، ص 287 .

وعند تفحص السورة تبين أن العدول على هذه الشاكلة قد ورد في صيغة اسم الفاعل سواء أكان مجردا أم مزيدا ، والصيغة الفعلية . أو من الصيغة الفعلية إلى الصيغة الاسمية ممثلة باسم الفاعل ، ووردت هذه الصورة ست مرات ، وبيانها على النحو الآتي :

الصورة الأولى : العدول من اسم الفاعل إلى الفعل :

قوله تعالى : " **وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُور** " [2] ، جاء السياق باستعمال صيغة اسم الفاعل آتية ، ثم عدل إلى استعمال صيغة الفعل " يبعث " وذلك لأن الحديث عن الساعة تناسب مع ذكر الصيغة الاسمية والتي تدل على الثبات ، بمعنى أن مجيء الساعة أمر ثابت لا محالة فيه ، والذي أضفى على اسم الفاعل صفة الثبوت أنه اتصل بالفعل وفيه خاصيته . ولو قال : ستأتي لفهم من ذلك الشك في مجيئها ، هذا من جانب ومن جانب آخر جاءت هذه الصيغة بعد أن ضرب الله أمثالاً على قدرته كخلق الإنسان من تراب ، وإنبات الزرع ، وهذه أمور لا شك فيها لأنها دالة على قدرة الله عز وجل ، فمن المناسب أن يأتي عند الحديث عن الساعة بسياق دال على الثبوت ، أضف إلى ذلك أن خلق الإنسان وإنبات الزرع أمران يحس بهما الإنسان ويراهما ، أما الساعة فهي أمر غيبي ، وتحتاج إلى إيمان ثابت في القلب ، فجاء السياق بالصيغة الاسمية ليناسب ذلك [3] ، ثم حصل العدول إلى صيغة الفعل المضارع الدالة على الحدوث والتجدد و الاستمرارية " يبعث " ، وذلك لأن مناط شك الكفار هو كيف سيبعثهم الله بعد موتهم ،ولم يكن مناط شكهم في الساعة فهم ينكرون البعث فكيف سيؤمنون بما بعده من أمور غيبية أعجب من البعث ، فكان التعجب من بعث من مات وليس التعجب من قدوم الساعة ، وبهذا يتجلى مجيء كل سياق بما يناسبه من صيغة ، فاستعمال اسم الفاعل دون الفعل " للدلالة على تحقق إتيانها وتقرره البتة لاقتضاء الحكمة إياه لا محالة " [4]

الصورة الثانية : العدول من الفعل إلى صيغة اسم الفاعل

---

[1] - انظر الألوسي ، روح المعاني ، مرجع سابق ، ج 9 ، ص 120 .، وأبو السعود ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القران الكريم ، مرجع سابق ، ج5 ، ص 95 .

[2] - الحج آية 7

[3] - أبو السعود ، تفسير أبي السعود ، مرجع سابق ، ص 95 .

[3] - الألوسي ، تفسير روح المعاني ، مرجع سابق ، ص 95 .

[4] - الألوسي ، تفسير روح المعاني ، مرجع سابق ، ج 9 ، ص 120 .

قوله تعالى : " **الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ** " [1] ، فالآية اشتملت على عدولين جاءا على النحو الآتي :

عدول من الفعل إلى اسم الفاعل في قوله : " وجلت قلوبهم والصابرين "

عدول من اسم الفاعل إلى الفعل في قوله : "والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون " .

ويلحظ أن الآية عندما تحدثت عن الصبر جاءت بالصيغة الاسمية الدالة على الثبات ، وكذلك الأمر عندما تحدثت عن الصلاة ، ولكن عندما تحدثت عن وجل القلوب والإنفاق جاءت بالصيغة الفعلية فقالت الآية " وجلت ، ينفقون " والفعل يدل على الحدوث والتجدد[2] .

ومن لطائف هذه الآية أنها ابتدأت بالفعل وختمت بالفعل أيضا َفقالت : " وجلت قلوبهم " ثم ختمتها بالفعل "ينفقون " ليدل على أنّ الخوف من الله والإنفاق متجددان وليسا ثابتين ؛ والسبب في ذلك أن الإنسان في حياته يتعرض إيمانه في قلبه إلى الزيادة والنقصان ، ومن جهة ثانية تتوزع حياته على الفقر والغنى .

أما عند حديثه عن الصلاة والصبر فقد جاء بالصيغة الاسمية الدالة على الثبات كأنه يقول : إذا صبرتم فيجب أن يكون صبركم ثابتا ، وكذلك إقامتكم للصلاة يجب أن تكون دائمة . " لأنه عبر بالوصف دون الفعل إشارة إلى أنه لا يقيمها على الوجه المشروع مع تلك المشاق والشواغل إلا الأراسخ في حبها – لما تمكن من حبها في قلوبهم والخوف من الغفلة عنها – كأنهم دائما في صلاة "[3]

كما أن التنقل في الآية بين الصياغة الفعلية تارة والصياغة الاسمية تارة أخرى ، جعل الألفاظ تتساق انسياقاً إلى الأسماع ، بصورة سلسة وجميلة ، فجاء بفعلين أحدهما ماض والآخر مضارع ، وجاء باسمين أحدهما اسم فاعل مصوغ من الفعل الثلاثي المجرد ، والآخر اسم فاعل مصوغ من الفعل الثلاثي المزيد ، فهذا التنقل بين الصيغ أضفى على الآية تناغما موسيقيا عذبا .

---

[1] - الحج آية 35

[2] - أبو السعود ، تفسير أبي السعود ، مرجع سابق ، ص 95

[3] - البقاعي ، نظم الدرر ن مرجع سابق ، ج 17 ، ص 49 .

الفصل الخامس

القيد والإطلاق

المفهوم

القيد : هو الفضلة أي ما يذكر في الجملة لتتميم معناها ويمكن الاستغناء عنه[1] ، أو هو " كل ما في الجملة عدا المسند و المسند إليه " [2] ، والإطلاق عكسه أي عدم تقييد المسند والمسند إليه بأي نوع من أنواع الفضلة .

ويكون التقييد لزيادة الفائدة وتقويتها في المسند والمسند إليه لدى السامع ، لأنه كلما زادت القيود ازداد المعنى إيضاحا وتخصيصا فتكون بذلك فائدة أتم وأكمل[3] .

وقد حفلت السورة بإيراد الصيغ الفعلية الدالة على الحركة والحدوث ، وذلك لأن جو سورة الحج العام هو جو عبادة وذكر وطاعة ، وأغلبه قائم على الحركة الفعلية الخارجية ، وبعد تفحص السورة تبين أن صيغة الأفعال الثلاثة الأمر والمضارع والماضي جاءت بصيغتين صيغة القيد و صيغة الإطلاق ليؤدي كل منهما معنى جديداً .

ونظراً لكثرة الأفعال في السورة فسأكتفي بعرض بعض الأمثلة الدالة من كل نوع من أنواع الأفعال التي أرى أنها تؤدي المطلوب وتسدّ الحاجة .

التقييد والإطلاق في فعل الأمر

تكرر فعل الأمر في سورة الحج أربعاً وثلاثين مرة ، جاء مطلقا منها أربعة أفعال فقط ، وسائر الأفعال جاءت مقيدة . وسأتحدث عن بعض هذه الأفعال بالقدر الذي يؤدي المطلوب :

---

[1] - عزيزة فوال بابتي ، المعجم المفصل في النحو العربي ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، 1992 ، الجزء الثاني ، ص 807

[2] - إنعام فوال عكاوي ، المعجم المفصل في علوم البلاغة ، مراجعة أحمد شمس الدين ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، 1992 ، ص 625 .

[3] - انظر أحمد مصطفى المراغي ، علوم البلاغة ، بلا ط ، دار القلم –بيروت – لبنان ، ص 119 وما بعدها .

فعلا الأمر " **اركعوا واسجدوا** " جاءا بصيغة الإطلاق ولم يتقيدا بشيء وذلك من بـــاب الاتساع ، وكان يمكن القول : " اركعوا في الصلاة واسجدوا في الصلاة " لأنهمـــا ركنـــان أساسيان في الصلاة ، ولكنه أطلقهما ليقول اركعوا متى شئتم ، وفي أي وقت تريدون .

ويُلحظ أن الآية التي شملت الركوع و السجود هي قوله تعالى : " **يَـــا أَيُّهَـــا الَّـــذِينَ آمَنُـــوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**" [1] ، حيث جاءت الآية بأمرين مطلقين هما الركوع والسجود وأمرين مقيدين وهما العبادة وفعل الخيرات.

خلاصة الأمر أن الأفعال المطلقة جاءت على صيغتين :

الصيغة الأولى : صيغة الأمر المباشر " اركعوا واسجدوا ".

الصيغة الثانية : صيغة المضارع مع لام الأمر وذلك ليتناسب مع ورود الأســـلوب المكـــي والمدني في السورة ، وورود السجدتين .

فعل الأمر " **طهر** " ، وذلك في قوله تعالى ، " **وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْـــتِ أَنْ لَـــا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ** " [2]، فلقد تقيد فعل الطهارة هنا بالبيت ، وقصد بالبيت بيت الله الحرام ، و أنه لو جاء فعـــل الطهـــارة علـــى صـــورة الإطلاق لذهب العقل به بعيدا ، ولسأل سائل ماذا أطهّر للطائفين والقائمين والركع السجود ؟ فأفاد التقييد هنا حصر الذهن بالأمر المطلوب وهو تطهير بيت الله .

فعل الأمر " **أذن** " ، جاء فعل الأذان مقيدا وذلك في قولـــه تعـــالى : " **وَأَذِّنْ فِـــي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ** " [3] ،فتقييد فعـــل الأذان هنا جاء في الناس ليدل على العموم ، أي أن ركن الحج فرض على كل من وصلته رسالة الإسلام .

فعل الأمر " **كلوا** " ، ورد فعل الأمر في سورة الحج مرتين ، وكان مقيدا ومحـــصورا في " بهيمة الأنعام " " والبدن " وهي الإبل ، وقيل البقر لكبر حجمها ، فقد قـــال تعـــالى : " **لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَـــامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ** " [4] ، وقوله " **وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَـــعَائِرِ اللَّهِ لَكُـــمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُـــوا الْقَـــانِعَ**

---

[1] - الحج آية 77
[2] - الحج آية 26
[3] - الحج آية 27
[4] الحج آية 28

وَالمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ " [1]، ففعل الأمر في الآيتين قيد بالبدن المساقة للنحر ، وسياق الآيتين يؤكد ذلك ؛ لأنهما جاءتا في سياق الحديث عن الحج ومناسكه وشعائره .

فعل الأمر " **أطعموا** " : ينطبق على فعل الأكل الذي جاء بصورة التقييد ما انطبق على فعل الأمر بالأكل المذكور سابقاَ ، حيث جاء تقييده بفئة مخصوصة من المحتاجين ، وهم البؤساء ويقصد بهم من اشتدت حاجته وساءت حاله[2] ، والفقراء من الناس ، فجاء التقييد ليفيد الإباحة والتصدق ، وبيان الفئة التي يتم التصدق عليها .

أفعال الأمر " **ليقضوا** " ،" **ليوفوا** "،" **ليطوفوا** " : وردت هذه الأفعال في آية واحدة وجاءت جميعها بصيغة المضارع مع لام الأمر ، وهي قوله تعالى : " **ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالبَيْتِ العَتِيقِ** " [3] حيث جاءت الآية بعد أداء بعض مناسك الحج كشهادة بعض المنافع الدنيوية والأخروية ، إضافة إلى ذكر الله في أيام الحج، وبعد نحر الإبل يتحلل الحاج من إحرامه بقضاء تفثه وهو قص الأظافر وإزالة الأوساخ[4] من على جسمه ، ثم تأدية ما عليه من نُذر فيوفي به ، والمقصود بالنذر ما ينذره الحاج من أعمال بر يقوم بها في حجه[5] ، وقصد بالطواف طواف الإفاضة[6] ، وهو طواف الزيارة لبيت الله الحرام .يضاف إلى ذلك أن هذه الأفعال جاءت معطوفة على بعضها بحرف العطف " ثم " الذي يفيد التراخي والترتيب .

كما يلحظ أن التقييد هنا جاء مناسبا لسياق الآيات ، ولو أطلق هذه الأفعال فقال : " اقضوا و أوفوا وطوفوا ،لسأل سائل ماذا أ قضي ، وماذا أوفِ ، وبماذا أطوف ؟ فحسن التقييد هنا لهذه الأفعال لإزالته اللبس ، وتوضيحه المقصود .

فعل الأمر" **اجتنبوا** " : ورد هذا الفعل في قوله تعالى : " **ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الأَنْعَامُ إِلا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ** " [7] فقد قيدت الآية الاجتناب بالأوثان وقول الزور " وإنما جمع الشرك وقول الزور في سلك واحد لأن الشرك من باب الزور ، ولأن المشرك زاعم أن الوثن تحق

---

[1] - الحج آية 36

[2] - البقاعي ، نظم الدرر ، مرجع سابق ، ج 13 ، ص 40 .

[3] - الحج آية 29

[4] - الألوسي ، روح المعاني ، مرجع سابق، ج 9 ، ص146.

[5] - الألوسي ، روح المعاني ، مرجع سابق ، ج 9 ،ص146

[6] - الألوسي ، روح المعاني ، مرجع سابق ، ج9 ، ص146

[7] - الحج آية 30

له العبادة ، فكأنه قال فاجتنبوا عبادة الأوثان التي هي رأس الزور، واجتنبوا قول الـزور كله ولا تقربوا منه لتماديه في القبح والسماجة "[1] .

يضاف إلى ذلك أن الآية لما تحدثت في بدايتها عن حرمات الله وتحليل الأنعام اتبعـت ذلك بنقيضها وهو الشرك وقول الزور . كما أن قول الزور جاء بهذا الترتيب ليفيد معنـى التعميم بعد التخصيص[2] .

فعل الأمر " بشر " : ورد هذا الفعل في السورة مرتين في قوله تعالى " **فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ " ، وقوله : " كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّـرُوا اللهَ عَلَـى مَـا هَـدَاكُمْ وَبَـشِّرِ الْمُحْسِنِينَ**" [3] حيث اختصت بصنف معين من عباد الله وهمـا المحـسنون و المخبتـون ، والإحسان درجة عالية من الإيمان ، والإخبات بمعنى التواضع و الرضـى بقـضاء الله[4] ، فالبشارة متعلقة بهاتين الفئتين من عباد الله في هذه السورة ، ، كما فيه إشارة إلى تكـريم الله لهاتين الفئتين .

فعل الأمر " لتكبروا " : حيث ورد هذا الفعل في قوله تعالى : " **لَنْ يَنَالَ اللهَ لُحُومُهَـا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللهَ عَلَى مَا هَـدَاكُمْ وَبَـشِّرِ الْمُحْسِنِينَ** " والمقصود بالتكبير هنا الشكر ، لأن التكبير تضمن معنى الشكر[5] ،كمـا تقيـد فعل التكبير بلفظ الجلالة ؛ أي لا يجوز أن تكبر إلا الله وحده ، وإذا كانت بمعنى الـشكر ، فأن المقصود وجوب شكر الله على هذه النعمة .

أفعال الأمر " اعبدوا ، افعلوا وجاهدوا ، أقيموا ، آتوا ، اعتصموا "

وردت هذه الأفعال في سياق الحديث عن عباد الله المؤمنين في قوله تعالى : " **يَا أَيُّهَـا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ، وَجَاهِدُوا فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَـمَّاكُمُ**

---

[1] - الفخر الرازي ، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب ، قدم له : خليل محيي الدين ، دار الفكر ، بيروت لبنان ، 1995 م 12 ، ص 32 ، وانظر الألوسي ، روح المعاني ، مرجع سابق ، ج 9 ، ص 148

[2] - انظر الألوسي ، روح المعاني ، المرجع السابق ، ج 9 ، ص 148

[3] - الحج آية 34 ، 37

[4] - أبو السعود ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، مرجع سابق ، ج 5، ص ، 107 ، وانظر - الألوسي ، روح المعاني ، مرجع سابق ، ج ص154 - البقاعي ، نظم الدرر ، مرجع سابق ، ج 13 ، ص 48 .

[5] - البقاعي ، نظم الدرر ، مرجع سابق ، ج 13 ، ص53

المُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرِ " [1].

الإطلاق هي " اركعوا واسجدوا "[2]. أما أفعال الأمر الأخرى فقد أفادت جميعها التقييد ففعل العبادة قيد بالله ، أي لا تعبدوا إلا الله وحده كما أفاد التقييد هنا قصر العبادة على الله .

أما فعل الأمر " افعلوا " فقد تقيد في محور الخير ، وفُهم منه تحريم أن يكون الفعل في غير الخير . أما الجهاد فقد أفاد التقييد قصْره على الله وحده ، وفُهم منه وجوب الجهاد في الله ، وأنْ يكون خالصاً لوجهه[3] وختمت هذه الأفعال بفعل الاعتصام وقيدته في الله ؛ أي لا يكون لجوءكم إلا لله، ولا تطلبوا الإعانة والنصرة إلا منه[4] ، سبحانه وتعالى.

ثانيا : القيد والإطلاق في الفعل المضارع

كثر ورود الفعل المضارع في السورة حيث تكرر في السورة مائة وأربعاً وثلاثين مرة ، وتوزعت هذه الأفعال على محوري القيد والإطلاق، فجاء مقيداً مئة وواحدةً وعشرين مرة ، وجاء ما يفيد الإطلاق منها ثلاث عشرة مرة.

ويبدو أن كثرة الأفعال التي أفادت التقييد جاء متناسباً ومضمون السورة التي تقوم على مبدأي الأوامر والنواهي ، فمواضيع السورة كالطاعة والعبادة والذكر وأداء المناسك والإخلاص لله ، وما تحمل في طياتها من مبدأ الالتزام والانضباط يتفاعل مع هذه الأفعال التي تؤدي في النهاية إلى أن العبد مطيع لربه مُجتنب ما نهاه عنه .

ولكثرة أفعال المضارع المقيدة فقد ارتأى البحث توضيح بعض الأفعال التي جاءت بصيغة الإطلاق ، وربطها بما يتناسب مع معناها من الأفعال التي أفادت التقييد وما دعت الحاجة إلى توضيحه.

الفعل المضارع الدال على المشيئة " يشاء ، نشاء " : ورد هذا الفعل في السورة مرتين ، واتخذ من صيغة المضارع صورة له ، وجاء في سياقين مختلفين : فمرة جاء بنون العظمة ليناسب سياق الآية التي ورد فيها ، ومرة جاء بياء الإفراد ليناسب السياق

---

[1] - الحج آية 77 – 78

[2] - تم توضيحهما سابقاً في محور الإطلاق

[3] - أبو السعود ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القران الكريم ، مرجع سابق ، ج5 ، ص 122

[4] - أبو السعود ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القران الكريم ، المرجع السابق نفسه ، ج 5، ص 122

الوارد فيه . ولتوضيح الأمر أكثر نورد الآيتين مع بيان لكل آية ، فمما جاء بنون العظمة ما ورد في سياق الآية التي تحدثت عن قدرة الله في خلق الإنسان ، في قوله تعالى : " **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ** " [1] فسياق الآية كان الحديث عن قدرة الله على خلق الإنسان من تراب ، ثم تدرج خلق الإنسان من طور إلى طور ومن مرحلة إلى أخرى حتى يستوي طفلاً ، وتستمر الآيات في سرد مراحل تطور هذا الإنسان في الرحم ، ثم تبدأ الآيات بالشروع في الحديث عن استقرار الجنين في الرحم ، ولكنّ هذا الاستقرار لا يكون إلا بإذن الله ومشيئته ، فجاءت الآية " ونقر في الأرحام ما نشاء " أي يُبقي الله في الأرحام ما يشاء من النطف التي مرت بأحوال التطور والتدرج في النمو إلى تمام الخلق[2] أو يسقطها . فالتناسب واضح بين إطلاق المشيئة وبين ما يشاؤه الله في الرحم ، إن شاء أبقى ، وإن شاء أسقط ، هذا من جانب ومن جانب آخر إن فعل المشيئة هنا جاء بنون العظمة ليتناسب مع الأفعال الواردة في نفس الآية التي جاءت كلها بنون العظمة والأفعال هي " خلقناكم ، لنبيّن ، نقر ، نشاء، نخرجكم ، أنزلنا " .

كما تجدر الإشارة إلى أن لفظ المشيئة الذي جاء هنا يفيد التقييد ، تناسب مع ارتباطه بلفظ الجلالة.

أما فعل المشيئة الثاني الذي جاء في قوله تعالى : " **أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ** "[3] فسياق الآية هنا يدور حول خضوع جميع المخلوقات لله وانقيادها[4] له ، ولكون سياق الآية سياق خضوع وانقياد سواء أكان السجود على حقيقته أم بمعنى الخضوع والانقياد ، فقد جاء

---

[1] - الحج آية 5

[2] - الألوسي ، روح المعاني ، مرجع سابق ، ج 9 ، ص 117 - البقاعي ، نظم الدرر ، مرجع سابق ، ج 13 ، ص 11 ، وانظر ابن عطية ، تفسير المحرر الوجيز في كتاب الله العزيز ، مرجع سابق ، ج 10 ، ص 229 .

[3] الحج آية 18

[4] - الفخر الرازي ، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب ، مرجع سابق ، ص 20 ، وانظر الألوسي ، روح المعاني ، مرجع سابق ، ج9 ، ص 130

فعل المشيئة بياء الإفراد ليتناسب مع سياق الآية الدالة على الوحدانية والتفرد لله بسجود الخلق له ، و جاء فعل المشيئة هنا مقييدا .

بقي أن نشير إلى فعلي المشيئة في السورة رغم أنهما جاءا بصيغة التقييد إلا أنهما اتخذا من مبدأ التقابل صورة لهما ، حيث جاء التقابل بين الفعلين في أن أحدهما جاء بالنون ليدل على العظمة ، والآخر جاء بالياء ليدل على الوحدانية ، وفي هذا تناسب مع ورود السجدتين في السورة .

فعلا المضارع الدالان على الوفاة ، والردّ : ورد فعل " يتوفى " في السورة مرة واحدة دالاً على الإطلاق في قوله تعالى : " **ومنكم من يُتوفّى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً** ". ففعل التوفي هنا" وهو الموت " جاء بصيغة الإطلاق ؛ ليفيد أن الموت يحصل في أي وقت يريده الله سواء أكان المتوفَى صغيراً أم كبيراً ، أي إن المقصود من الإطلاق تغييب وقت الموت ، وأما فعل الرد في نفس الآية ونفس السياق فقد جاء مقيداً بزمن معين وهو أرذل العمر وقُصد به الهَرم والخَرف[1] ، مع ملاحظة أن الآية نفسها حوت الصيغتين القيد في الفعل " يُردّ " والإطلاق في الفعل " يُتوفّى " إضافة لما بين الفعلين من التضاد والمقابلة .

الفعل المضارع " يريد " : ورد الفعل في السورة ثلاث مرات ، تحدث مرتين عن إرادة الله ومرة عن إرادة البشر وذلك في قوله تعالى : " **إنَّ اللهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ إنَّ اللهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ** وقوله : " **وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَأَنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيد** "[2] ، وقوله تعالى : " **إنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَالمَسْجِدِ الحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً العَاكِفُ فِيهِ وَالبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ** " [3] فيلاحظ أن فعلي الإرادة الواردين في الآيات السابقة ،جاءا مقييدين . وما جاء خاصاً بالبشر جاء مقيداً لأن سياق الحديث دار حول الذي يريد أن يُلحق بالمسجد الحرام ظلما ، فجاءت إرادته مقيدة ، لأنه بشر وإرادته محدودة .

الفعل المضارع " تختلفون " : ورد هذا الفعل في قوله تعالى : " **اللهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ** " [4] ، أفاد الفعل هنا معنى التقييد ، ليشمل كل ما يختلف فيه

---

[1] - أبو حيان الأندلسي ، البحر المحيط في التفسير ، مرجع سابق ، ص 486 ، وانظر : البيضاوي ، تفسير البيضاوي ، مرجع سابق ، ص 114

[2] - الحج آية 14 ، 16

[3] - الحج آية 25

[4] - الحج آية 69

الناس من خير أو شر ، أو أمر دين أو أمر دنيا أو غيره ،. وفيه دلالة على أن الله سيحكم يوم القيامة بين عباده في كل ما اختلفوا فيه من أمورهم .

القيد ولإطلاق في الفعل الماضي

جاء توزيع الفعل الماضي في السورة مائة وثلاث مرات ، وكان أكثر وروده على صورة القيد ، فمما جاء منه مقيداً ثمانية وسبعون فعلاً ، وما جاء منها على صورة الإطلاق خمسة وعشرون فعلاً.

ولكثرة الأفعال المقيدة آثرت أن أذكر بعض الأفعال التي أدت معنى الإطلاق ، وأذكر في ثناياها ما يتوافق معها ،أو ما يسهم في كشف جماليتها مما يرد معها من الأفعال الماضية المقيدة . وسأبدأ بذكر الأفعال التي كان لها انتشار واسع في السورة، وكان أكثرها وروداً ما تعلق بموضوعي الإيمان والكفر.

الفعل الماضي الذي أدى معنى الإيمان :

وردت صيغة الإيمان في السورة على صيغة الفعل الماضي ، وكانت جميعها تؤدي معنى الإطلاق ؛ والسبب في ذلك أن الإيمان بالله يجب أن يكون مطلقاً لا مقيداً. ولا يقتصر الإيمان على أن يؤمن الفرد بالله فقط ، بل يجب أن يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره . ولو قيد لفظ الإيمان بواحد من هذه الأركان؛ لانحصر معنى الإيمان فيه ، ولكنه عندما أطلقه شمل جميع هذه الأركان.

يضاف إلى ذلك أن جو السورة العام هو جو عبادة وطاعة وأداء مناسك الحج والشعائر الخاصة به ، فلزم ذلك أن تتناسب هذه الأمور مع ذكر لفظ الإيمان المطلق الذي تكرر بصيغته الدالة على المُضيّ " **الذين آمنوا** " في السورة سبع مرات ، ولم يأت منها على هذه الصورة ما أفاد التقييد ً، والسبب كما تم التوضيح سابقاً.

يضاف إلى ذلك - على الرغم من تكرار صيغة الذين آمنوا - فإنها جاءت مقترنة بالعمل ، وجاء العمل مقيداً بلفظ " الصالحات " بمعنى أن العمل لا يكون إلا صالحاً ،وهنا يتجلى التقابل والتناسب بين هذين اللفظين ، الإيمان على إطلاقه يتناسب مع العمل الصالح المقيد ويتقابل معه ، فلو أننا أطلقنا لفظ العمل ، لكان أي عمل سواء أكان صالحاً أم سيئا ً مرافقا ً للإيمان ، وهذا كلام لا يصح ، فكيف يتوافق الإيمان مع العمل السيئ ؟

بقي أن نشير إلى أن ورود الإيمان في هذه المواضع السبعة جاء مقترناً مع العمل في ستة مواضع فقط ، والموضع السابع والأخير لم يقترن بالعمل، والسبب أن سياق الآية كان يتحدث عن أصناف البشر حسب اعتقادهم ، وليس حسب أعمالهم ، ونص الآية هو : " **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ**" [1] .

فكما يلحظ هنا أن التصنيف وإن جاء هنا على صيغة التقسيم ، إلا أنه خلا من لفظ العمل الصالح ،لأن سياق الآية كما وضحت سابقاً يدور حول تعداد أصناف أصحاب المعتقدات لا حول أعمالهم .

وقد يبرز سؤال مفاده : هل حدث في هذه الآية تضاد أم لا ؟ الجواب :نعم ، يبرز التضاد بين قوله تعالى :" الذين آمنوا " وقوله " الذين أشركوا " فالإيمان يقابله الشرك ، فيلحظ كيف راعت الآية وجود التضاد والتقابل فيها على الرغم من أنها لم تحو العمل الصالح ، وفي هذا تناسب راعته الآية مع ما ورد في السورة من قيامها وارتكازها على مبدأي التقابل والتضاد . إضافة إلى أنها ابتدأت بالأعم هداية وهم المؤمنون ، وختمت بالأعم ضلالا وهم المشركون .

الفعل الماضي الدال على معنى الكفر .

وردت صيغة الفعل الماضي التي أدت معنى الكفر " الذين كفروا " في هذه السورة ست مرات ، جاءت جميعها تفيد معنى الإطلاق ، لأن الكفر وإن صغر يُعدّ كفراً ، وإن كُبر يُعدّ كفراً أيضاً .

وهنا يلحظ أن لفظ الكفر جاء بمعنى الإطلاق ليناسب عددياً لفظ الإيمان المقترن بالعمل الصالح ، والذي أدى معنى الإطلاق أيضاً ، والآيات التي ورد فيها لفظ الكفر مفيداً معنى الإطلاق هي " آية : 19 ، 25 ، 55 ، 57 ، 72 " ، وترافق في آية واحدة لفظة الكفر مع لفظة التكذيب في قوله : " والذين كفروا وكذبوا بآياتنا " فنلحظ هنا أنه أطلق الكفر وقيد التكذيب بآيات الله.وهذا الأمر يقابل ما جاء في المحور السابق له عندما تحدثنا عن الإيمان ، فالذين كفروا وكذبوا قابل الذين ءامنوا وعملوا الصالحات.

[1] - الحج آية 17

الفعل الماضي الدال على الشرك :

وردت هذه الصيغة" الذين أشركوا " في السورة مرة واحدة ، وأفادت معنى الإطـــلاق ، فالشرك إن كان بأصغر الأشياء يُعدُ شِرْكاً وإن كان بأكبر الأشياء يُعدُ شِرْكاً. هـــذا مـــن ناحية ، ومن ناحية أخرى ، أننا إذا أضفنا لفظ الشرك في قوله تعالى : " **إِنَّ الَّـــذِينَ آمَنُـــوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللهَ يَفْصِلُ بَيْـــنَهُمْ يَـــوْمَ القِيَامَةِ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ** " [1]إلى الآيات التي جاءت بصيغة الكفر فإن مجموعهـــا سيكون سبعة مواضع . أي ستة مواضع للكفر وموضع واحد للشرك .

وفي هذا تقابل ما بين ورود لفظ الذين آمنوا ،الذي تكرر وروده في السورة سبع مرات ولفظ الذين كفروا الذي تكرر وروده ست مرات ،وأما لفظ الذين أشركوا فقد جـــاءت هـــذه الصيغة مرة واحدة ، فإذا أضفناها إلى لفظ " الذين كفروا" ، فإن مجموع ذلك يـــصبح ســـبع مرات ، فهل هذا التناسب جاء اعتباطاً ؟ أم أنه جاء مناسباً لاعتماد السورة علـــى مبـــدأي التقابل والتضاد ؟ والجواب واضح وجليّ ، فهذا التناسب جاء متناسبا مع ورود الـــسجدتين في السورة ، إضافة إلى تناسبه مع ورود الأسلوبين المكي والمدني .

الفعل الماضي ضَعُف

ورد هذا الفعل في السورة مرة واحدة ، وأفاد معنى الإطلاق وذلك في قوله تعـــالى : " **يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَـــوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالمَطْلُوبُ** " [2]

فسياق الآية هنا هي ضرب مثل للذين يدعون مع الله آلهة أخرى ، وإظهار عجـــزهم في أنهم لا يستطيعون خلق الذباب ، وليس هذا فحسب ، بل لا يستطيعون أن يُرجعـــوا مـــا سلبهم إياه الذباب .

تفاعلت في هذا السياق لفظة ضَعُف مع ما أدته من معنى الإطـــلاق ، لتكـــشف عـــن ضعف هذا الإنسان من جهة ، ولتعلن أن هذا الإنسان الضعيف لا يستطيع فعل أي شـــيءٍ مما ذكر آنفاً من خلق للذباب أو استرجاع ما سلبهم الذباب إياه .

---

[1] - الحج آية 17
[2] - الحج آية 73

الفصل السادس

أسلوب التقابل

المفهوم

كان للتقابل في سورة الحج ظهور بارز. ويُعدُ التقابل عنصراً فاعلاً في إبراز معاني السورة وإضفاء جو من الجمال في سياق الأحداث وترابطها.

وقبل الشروع في توضيح أنواع التقابل الواردة في سورة الحج لا بد من توضيح معنى التقابل لغة، فكما جاء في لسان العرب : " أن التقابل يكون بين شيئين فقابل الشيء بالشيء مقابلة وقبالاً عرضه، ومقابلة الكتاب بالكتاب معارضته، وتقابل القوم استقبل بعضهم بعضاً ، والمقابلة المواجهة ، والتقابل المواجهة ، والتقابل مثله"[1] ، يتبين من معنى التقابل لغة وجود شيئين كل منهما في مقابل الآخر ، وأما اصطلاحا ، فالمقابلة " هي أن تجمع بين شيئين متوافقين أو أكثر وضديهما"[2] ،والمقابلة :"ذكر معنيين فأكثر ،ثم ذكر مقابلهما مترتبا"[3] ومن المقابلة ما يسمى بالمطابقة ، والمطابقة : هي "أن تجمع بين متضادين"[4] ويقصد بها أيضاً : " الجمع بين ضدين في الجملة ، أي متقابلين "[5] سواء تضاداً في الحقيقة نحو يحيي ويميت ، "وتحسبهم أيقاظا وهم رقود " أم لا ، نحو لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت "[6].

وتسمى المطابقة بالطباق "وهو الجمع بين المتضادين في الجملة "[7] ومن الطباق نوع يسمى "الطباق الخفي "[8] ومثاله " **مما خطيئاتهم أغرقوا فأدخلوا ناراً** " فالغرق من صفات الماء فكأنه جمع بين الماء والنار في جملة واحدة ، لا بشكل مباشر ، وإنما يفهم ويُستنتج من سياق الجملة .

و"الطباق لا يكون إلا بالأضداد ، والمقابلة بالأضداد وغيرها "[9] ويمكن تعريف المقابلة أيضًا بأنها : "مقابلة الشيء بشيء آخر على نحو أن يقف كل منهما متقاطعا مع الآخر "[1] وبهذه

---

[1] - ابن منظور ، لسان العرب ، مرجع سابق ، ج12 ، ص 15

[2] - السكاكي ، مفتاح العلوم ، مرجع سابق ، ص 179 .

[3] - جلال الدين السيوطي ، إتمام الدراية لقراء النقاية ، مرجع سابق ، هامش كتاب مفتاح العلوم للسكاكي ، ص 158 .

[4] - السكاكي ، مفتاح العلوم ، مرجع سابق ، ص 179 .

[5] - فايز عارف القرعان ، التقابل والتماثل في القرآن الكريم ، الطبعة الأولى ، المركز الجامعي للنشر ، اربد ، 1994 ، ص 355

[6] - جلال الدين السيوطي ، إتمام الدراية لقراء النقاية ، مرجع سابق ، هامش كتاب مفتاح العلوم للسكاكي ، ص 158 .

[7] - جلال الدين السيوطي ، معترك الأقران في إعجاز القرآن ، مرجع سابق ، ج1، ص 314 .

[8] - نفسه ، ج1، ص 315 .

[9] - نفسه ، ج1، ص 316 .

التعريفات يتوضح أن مفهوم المقابلة والمطابقة والتضاد تدور كلها في فلك واحد وإن اختلفت مسمياتها ، ومن هذه التعريفات نشرع في توضيح المقابلة الواردة في سورة الحج حيث أشار إلى ورود أسلوب التقابل في السورة أبو السعود[2] في تفسيره ، وابن عطية[3] والطباطبائي[4] ، والبقاعي[5] ،وابن عاشور[6] ، ومحي الدين الدرويش[7].

تتوزع دراسة التقابل في سورة الحج على ثلاثة محاور كالتالي:-

المحور الأول :

التقابل بين المفردات :-

ويقصد به التقابل الحاصل بين المفردات وهو ما يُسمى بالطباق . وقد بين فضل حسن عباس أن الطباق والمقابلة بمعنى واحد بقوله : " جمهور العلماء على أن المقابلة غير الطباق، والمقابلة عندهم أنْ يؤتى بمعنيين فأكثر ،ثم بما يقابل هذه المعاني ،أما الطباق فلا يكون إلا بين معنى واحد وما يقابله ، فأنت ترى أنّ الطباق يكون بين معنيين ،أما المقابلة فيشترط لها أكثر من ذلك، ولا نرى ضرورة لهذا الاصطلاح ما دام الموضوع واحداً، ولِمَ لا تكون المطابقة والمقابلة شيئاً واحداً ، وتكون بين الواحد وما يقابله ٍ أو بين معنيين وما يقابلهما ٍأو بين ما يزيد على اثنين ، ولا مشاحة في الاصطلاح كما يقولون"[8] ، يتبين من القول السابق أن الطباق و المقابلة شيء واحد . و سيتم دراسة المفردات التي ورد بينها مقابلة أو طباق ضمن الحقول التالية :

أولاً : حقل الآيات الكونية :

شملت سورة الحج بعض الآيات الكونية الدالة على قدرة الله وذلك في الآيات التالية "-

---

[1] - محمود البستاني ، القواعد البلاغية في ضوء المنهج الإسلامي ، مرجع سابق ، ص 154

[2] - أبو السعود ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، مرجع سابق - ج5 ، ص 117 .

[3] - ابن عطية ، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، مرجع سابق ، ج10 ، ص 251.

[4] - الطباطبائي ، تفسير الميزان في تفسير القرآن ، مرجع سابق ، ج14 ، ص 363 .

[5] - البقاعي نظم الدرر ، مرجع سابق ، ج13، ص 31

[6] - ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، مرجع سابق ، ج16 ، ص 231 .

[7] - محيي الدين الدرويش ، إعراب القرآن وبيانه ، مرجع سابق ، ج6 ، ص 395 .

[8] - فضل حسن عباس ، البلاغة فنونها وأفنانها ، الطبعة الأولى ، دار الفرقان ، عمان 1987 ، ص278 ، وانظر التضاد في النقد الأدبي ، منى علي سلمان الساحلي ، منشورات جامعة قار يونس ، بنغازي ، 1996 ، ص 30 - 48 .

قوله تعالى :-" **وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا المَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ** "، وقوله : " **ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ** "، **وقوله** : " **أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ** "، **وقوله** : **أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي البَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ** " وقوله "**وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الإِنْسَانَ لَكَفُورٌ** " [1]. حيث وردت المقابلة بين الألفاظ التالية:

الليل ←يقابله←←← النهار

السماء←تقابلها ←←←الأرض

الحياة ←يقابلها←←← الموت

الجمود بمعنى الموت والسكون ←يقابله←←←الاهتزاز الذي يفيد الحركة والحياة .

والملاحظ على المقابلة السابقة أنها تقوم على مبدأ الضدية ، فالقادر على جمع الضدين ووضع أحدهما مكان الآخر ،كمزاحمة الليل والنهار ،و مزاحمة النهار لليل، من حيث طول النهار وقصره ليدل دلالة قطعية على قدرة الله الخالق المدبر لهذا الكون ،فإن من سنة الله " أن يظهر أحد المتضادين المتزاحمين على الآخر كما يولج الليل في النهار ،ويولج النهار في الليل"[2] هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فالليل والنهار هما المقياس الزمني لحياة الإنسان ، لأن الإنسان في حياته الدنيا يخضع لنظام الليل والنهار ، يضاف إلى ذلك أن الحياة والموت ، والليل والنهار ، يقعان ضمن حيّز السماء والأرض .

فالحياة الدنيا ثم الموت ثم الحياة الآخرة من النعم الإلهية العظمى[3] . ويمكن الإشارة إلى لفتة جميلة في هذه الآيات والمقابلة الحاصلة بينها ، فإيلاج الليل في النهار وإيلاج النهار في الليل إنما هي لأجل مصالح العباد[4]، فلو طال الليل لتعطلت مصالح العباد فيه وكذلك الأمر بالنسبة للنهار.

---

[1] - الحج الآيات 5 ، 61 ، 63، 65 ، 66 .

[2] -الطباطبائي ، الميزان في تفسير القرآن ، مرجع سابق ، ج14 ، ص 403 ، وأشار إلى مبدأ التضاد كل من الألوسي في روح المعاني ،مرجع سابق ، ج9 ، ص 190 ، أبو السعود في تفسيره ، مرجع سابق ، ج 5، ص 119 ، وابن عاشور في التحرير والتنوير ، مرجع سابق ، ج 16 ، ص 314

[3] - الطباطبائي ، الميزان في تفسير القرآن ، مرجع سابق ، ج14 ، ص 405

[4] - البقاعي ، نظم الدرر، مرجع سابق ، ج13 ، ص 80 .وانظر : الألوسي ، روح المعاني ،مرجع سابق ، ج9 ، ص 191

كما أن إنزال المطر من السماء وإنبات النبات من الأرض يصب في مـــصلحة العبـــاد لأن في الماء والنبات " رزقاً للعباد[1] وأقواتهم " ، فالعلاقة إذاً بين العباد الذين يشملهم الموت والحياة وبين السماء والأرض التي ينزل من أحدها المطر ومن الأخرى ينبت النبات علاقة تلازمية تقوم على مبدأ الانتفاع ، فالإنسان ينتفع من ولوج الليل في النهار ونزول الماء من السماء وإنبات النبات من الأرض ، ويبقى مرهوناً بين فكي الحياة والموت ، وبهذه الأمـــور تتميم لإظهار كمال القدرة الإلهية.

ثانياً : الحقل الديني :

هو الحقل الذي يشمل الآيات التي جاءت متضمنة لمبدأي الكفر والإيمان مثـــل قولـــه تعالى: " **ثاني عطفه ليضل عن سبيل الله** "، وقوله :" **خسر الدنيا والآخرة** "، وقوله تعـــالى :"**وهدوا إلى الطيب من القول وهدوا إلى صراط الحميد** "، وقوله تعالى :" **إنّ الذين آمنوا ، إنّ الذين كفروا، الذين أشركوا** " فالملاحظ على هذه الألفاظ أنها جاءت لتفرق بين طائفتين ، طائفة متصلة بربها طائعة له ، سائرة على منهجه، وهي طائفـــة المـــؤمنين ، والطائفـــة الثانية تشمل الكفرة والمشركين والمتشككين في ربهم ، حيث ورد التقابل كالتالي:

الذين آمنوا← يقابلها ←←←← الذين أشركوا ،كفروا ، المتكبر ، المتشكك بربه

يناسبهم لفظ ⇩ يناسبهم لفظ ⇩

الهداية ←يقابلها ←←←←←← الضلال والخسران

فالمخطط السابق يبين التقابل المتضاد بين الطـــائفتين ، واللفـــظ المناســـب لكـــل طائفـــة ، فالمؤمنون لهم الهداية إلى القول الطيب ، والصراط الحميد، والكفرة لهم الضلال والخسران المبين.

يضاف إلى ذلك أن التقابل بين الطائفتين يكون في الدنيا ، والنتيجة المتحصّلة لهما تكـــون في الآخرة ، وهي للمؤمنين الهداية إلى الجنة ، وللكافرين الضلال المؤدي إلى النار.

[1] - البقاعي ، نظم الدرر، مرجع سابق ، ج13 ، ص 82 ، وابن عاشور في التحرير والتنوير ، مرجع سابق ، ج 16 ، ص 318 .

المحور الثاني : التقابل بين المواقف والموضوعات[1] :

ويقصد من هذا التقابل ، التقابل الوارد في السورة بين المواضيع التي طرقتها السورة ، ومن هذه المواضيع جزاء الكافرين والمؤمنين والآيات التي ورد فيها جزاء الكافرين هي :- (4 ، 9 ، 11 ، 19 ، 20 ، 21 ، 22 ، 51 ، 57 ، 72) .

والآيات التي ورد فيها جزاء المؤمنين هي:- (14 ، 23 ، 24 ، 50 ، 54، 56 ، 58 ، 59) .

وتفصيل التقابل كالتالي :-

جزاء المؤمنين	**جزاء الكافرين**
1-جنات تجري من تحتها الأنهار	يُصبّ من فوق رؤوسهم الحميم[2].
2- جنات تجري من تحتها الأنهار	يصهر ما في بطونهم والجلود.
يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤاً	لهم مقامع من حديد
ولباسهم فيها حرير	قطعت لهم ثياب[3]
3- وهدوا إلى الطيب من القول وهدوا	يُضله ويهديه إلى عذاب السعير
إلى صراط الحميد	وعذاب النار
4- لهم مغفرة من ربهم ورزق كريم	ونذيقه يوم القيامة من عذاب الحريق
5- الهداية إلى الصراط المستقيم	
6-جنات النعيم	الخسران المبين ، الجحيم
7- ليرزقنهم رزقاً حسنا	عذاب الحريق
8- ليدخلنهم مدخلاً يرضونه	عذاب مهين

من التقسيم السابق الذي تمت فيه المقارنة والمقابلة بين جزاءي الكافرين والمؤمنين تمت المقابلة من حيث عدة مجالات هي:

1- **المكان** :

---

[1] - محمود البستاني ، القواعد البلاغية في ضوء المنهج الإسلامي ، مرجع سابق ، ص 156 وما بعدها

[2] - ابن عاشور في التحرير والتنوير ، مرجع سابق ، ج16، ص 230 ، البقاعي ، نظم الدرر، مرجع سابق ، ج13 ، ص 31 .

[3] - البقاعي ، نظم الدرر، مرجع سابق ، ج13 ، ص 31 ، ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، دار المعرفة ، بيروت ، 1969 ، الجزء الثالث ، ص212 .

حيث أشارت الآيات إلى المكان الذي يؤول إليه كل من المؤمنين والكـــافرين، فمكـــان المؤمنين المَؤول إليه هو جنات النعيم ، ومكان الكافرين المؤول إليه هو الجحـــيم ، وبـــين المكانين مفارقة كبيرة من حيث الجزاء المتحصل فيه ، فالمؤمنون في الجنات التي تجـــري من تحتهم الأنهار ، وفي هذا كرامة وثواب حسن، بعكس الكافرين الذين يعذبون في النار ، والذين يُصب من فوق رؤوسهم الحميم ، الذي يصهر جلودهم وبطونهم وهنا تبرز ثـــلاث تقابلات هي:

الجنة←←←←←←←←←←←←يقابلها←←←← النار

تجري من تحتها الأنهار ←←←←←←يقابلها←←←← الحميم

من تحتهم ←←←←←←←←←←←←يقابلها←←←← من فوق رؤوسهم

واتساق التقابل يظهر كالتالي :

أن الحميم " وهو النحاس المذاب "[1] وقيل الماء البالغ أقصى درجات الشدة في الحـــرارة[2] ، يُصب من فوق رؤوس الكفار للدلالة على التصاق العذاب بهم ، هو في مقابلة جريان المـــاء الذي يجري من تحت الجنات التي تحوي المؤمنين ، وفي هذا مقابلة ظاهرة[3] جميلة .

2– الحلية والزينة :

أشارت الآيات إلى نوع الحلية والزينة المتحصلة لكل من المؤمنين والكـــافرين فـــي الآخرة، فالمؤمنون لهم أساور من ذهب ولؤلؤ، والكافرون لهم مقامع الحديد التي يُـــضربون بها ، وشتان ما بين أساور الذهب والمقامع التي هي السياط[4] ، أو هي عمود حديد يُـــضرب به الرأس والوجه ليَردّ المضروب عن مراده وهو الهروب والخروج من النار رداً عنيفا[5] ، وقيل هي سياط من حديد[6]. وأشار ابن عاشور إلى أن المقابلة المتحـــصلة بـــين الأســـاور المصنوعة من الذهب هي في مقابلة صب الحميم من فوق الرؤوس[7] .

---

[1] - إبراهيم بن السدي الزجاج ، معاني القرآن وإعرابه ، شرح وتحقيق عبد الجليل عبه شلبي ، خرج أحاديثه علي جمال الدين محمد ، الطبعة الأولى ، دار الحديث ، القاهرة ، 1994 ، الجزء الثالث ، ص 419 ،

[2] - محمد السيد طنطاوي ، التفسير الوسيط في القرآن الكريم ، مطبعة السعادة ، 1985 ، الجزء السادس عشر ، ص 43، وانظر : الزمخشري ، الكشاف ، مرجع سابق ،ج3 ، ص 150 .

[3] - الطباطبائي ، الميزان في تفسير القرآن ، مرجع سابق ، ج14، ص 363 ، البقاعي ، نظم الدرر، مرجع سابق ، ج13، ص 31

[4] - الزمخشري ، الكشاف ، مرجع سابق ،ج3 ، ص 150 ، وانظر الألوسي ، روح المعاني ، ج9 ، ص 135 .

[5] - البقاعي ، نظم الدرر، مرجع سابق ، ج13، ص 30 .

[6] - ابن عاشور في التحرير والتنوير ، مرجع سابق ، ج16، ص 230 .

[7] - ابن عاشور في التحرير والتنوير ، المرجع السابق ذاته ، 16، ص 231 ، . البقاعي ، نظم الدرر، مرجع سابق ، ج13، ص 31 .

خلاصة الأمر أن المؤمنين في الجنة لهم الأساور المصنوعة من الذهب والفضة والدالة على نعومة العيش وكرامة المسكن ، وهي بعكس المقامع التي يُضرب بها الكافرون ، والمصنوعة من الحديد الحار .

3- **اللباس** :

وضحت الآيات لباس المؤمنين في الجنة وقابلتها[1] بلباس الكافرين في النار ، فلباس المؤمنين في الجنة هو الحرير لقوله تعالى : " ولباسهم فيها حرير" ، أما لباس الكافرين فهو الثياب المقطعة من النار لقوله تعالى : " فالذين كفروا قطّعت لهم ثياب من نار " والفرق واضح وجليّ بين اللباسين . يضاف إلى ذلك أنه جاء مع لفظ ثياب النار صيغة المبالغة[2] المفهومة من لفظة التقطيع للدلالة على المبالغة والسرعة في إعداد ذلك لهم[3] .

4 – الطعام :

قارنت الآيات بين طعام كل من المؤمنين والكافرين ، فالكافرون طعامهم الحريق والحميم الذي يصهر ما في البطون ، وأما المؤمنون فلهم الرزق الكريم والرزق الحسن ، كما أوضحت ذلك الآيات . والمفارقة واضحة ما بين الطعامين حيث عبر القرآن عن طعام المؤمنين بالرزق وهو" العطاء وهو كل ما يتفضّل به مِنْ أعيان ومنافع ، ووصفه بالحسن لإفادة أنه يرضيهم بحيث لا يتطلبون غيره لأنه لا أحسن منه "[4] ، وفي مقابل هذا الرزق الحسن يظهر الحميم الذي " إذا صُب الحميم على رؤوسهم كان تأثيره في الباطن نحو تأثيره في الظاهر ، فيذيب أحشاءهم وأمعاءهم ، كما يذيب جلودهم "[5] ، وشتان ما بين الرزق الحسن الكريم والطعام المُحرق الأليم .

---

[1] - ابن عاشور في التحرير والتنوير ، مرجع سابق ، ج16، ص 231 ، وانظر ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ،ج3 ، ص 212 .

[2] - ابن عاشور في التحرير والتنوير ، مرجع سابق ،ج 16، ص 230 .

[3] - ابن عاشور في التحرير والتنوير ، مرجع سابق ، 16ج، ص 230

[4] - ابن عاشور في التحرير والتنوير ، المرجع السابق ، 16ج، ص 310 .

[5] - الزمخشري ، الكشاف ، مرجع سابق ، ج 3 ، ص 150 .

المحور الثالث : التقابل غير المباشر:

ويقصد به عدم ذكر " المقابلة بين الشيئين نصاً بل يتم بنحو ضمني غير مباشر "[1] ويأتي هذا التقابل على مستويين :

أ- التقابل المقطعي :

وهو التقابل " بين مقطعين أو أجزاء النص "[2] ، ومن هذا النوع من التقابل ما ورد في سورة الحج عن جزاء الكافرين والمؤمنين ، وسأكتفي بالحديث في هذا المستوى عن التفريق بين نوعي الجزاء كالتالي :

أولاً : الجزاء الدنيوي أو العاقبة الدنيوية :

ويقصد به الجزاء المتحصل للمؤمنين والكافرين في الحياة الدنيا ، حيث ورد ذلك في الآيات التالية : " 41 ، 44 ، 45 ، 48 ، 60 " التي حملت أنواع الجزاء التالي :-

عاقبة جزاء المؤمنين←←←يقابلها←←←عاقبة جزاء الكافرين

1-النصرة على أعدائهم	1- الإمهال ثم العذاب .
2- التمكين في الأرض	2-الإهلاك .
3- النصرة بعد الظلم	3-الهزيمة.

فالملاحظ في هذا المستوى ، بعد عقد المقارنة بين العاقبتين ، أن التقابل قد ورد بصيغة غير مباشرة ، فالحديث عن عاقبة المؤمنين جاء بلفظ المضارع المُؤكّد بالنون الثقيلة في قوله : " ولينصرنّ اللهُ من ينصره " ، و الماضي الذي جاء بصيغة الشرط في قوله : " الذين إنْ مكنّاهم في الأرض " فالملاحظ أن النصرة جاءت بصيغة المضارع الدال على التجدد والاستمرارية[3] ، ويفهم من لفظ النصرة وجود الهزيمة للطرف الآخر ، وإن لم يُذكر في الآيات ، كما أنْ لفظ التمكين يدل على نصرة هؤلاء المؤمنين على أعدائهم وإن لم يذكر لفظ الأعداء أيضاً ، فالآيات التي جاءت متضمنةً هذين المعنيين "النصرة والتمكين " لم تذكر أحوال الطرف الآخر وعاقبته في سياقها ، بل فهم من السياق .

---

[1] - محمود البستاني ، القواعد البلاغية في ضوء المنهج الإسلامي ، مرجع سابق ، ص 156 .

[2] - محمود البستاني ، القواعد البلاغية في ضوء المنهج الإسلامي ، مرجع سابق ، ص 156

[3] -السامرائي ، معاني النحو ، مرجع سابق ،ج4 ، ص 167

ثانياً : الجزاء الأخروي أو العاقبة الأخروية

تم الحديث عن هذا الجزاء في المحور الثاني والسابق لهذا المحور[1] ، ولا داعي لتكراره .

ب - التقابل البنائي

ويقصد به " التقابل الذي يستخلصه القارئ من خلال وقوفه عند هيكل النص ، أي أن هناك تقابلاً لا يتبيّنه القارئ بسهولة ، بل يتطلب تأمّلاً ذهنياً لعمارة النص ،حتى يستخلص هذا التقابل "[2] .

ويتوزع هذا النوع من التقابل في سورة الحج توزعاً فيه تناسب مع ورود السجدتين في السورة نفسها ، إضافة إلى احتواء السورة على الآيات المكية والمدنية وما بينها من اختلاف في طرق الموضوعات ، واختلاف في هيكلية التركيب.

فمن المقابلات البنائية الجميلة في السورة :

1- **المقابلة بين خاتمة السورة وفاتحتها** :

افتتحت السورة بذكر التقوى المنجية من عذاب الله[3] ، وختمت بالأمور المؤدية إلى التقوى ، وهي قوله تعالى: " **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ، وَجَاهِدُوا فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ** "[4] . فإقامة الصلاة وعبادة الله ، وفعل الخير والجهاد هي من الأمور المؤدية إلى تحصيل التقوى في القلب . فحسن التقابل بين فاتحة السورة وخاتمتها .

2- **مراحل خلق الإنسان والنبات** :

ومن التقابل أيضاً ما ورد في الآية رقم " 5 " التي تحدثت عن مراحل خلق الإنسان في رحم أمه ، وخروجه بعد ذلك طفلاً متدرجاً إلى مراحل النمو والبلوغ .

وذكر النبات وكيف تهتز الأرض فيخرج النبات منها بهيجاً . حيث تمت المقابلة في هذه الآية بين الأمور التالية:

الإنسان	**النبات**

---

[1] - انظر المحور الثاني في هذا الفصل

[2] - محمود البستاني ، القواعد البلاغية في ضوء المنهج الإسلامي ، مرجع سابق ، ص 156 -157 ، وأشار إلى مثل هذا النوع من التقابل ابن عاشور في التحرير و التنوير وان لم يُسمه بهذا الاسم ، ص 203 .

[3] - البقاعي ، نظم الدرر ، مرجع سابق ، ص 1 ، حاشية الشيخ زادة على تفسير البيضاوي ، مرجع سابق ،ج3، ص 373 ، وانظر النسفي ، تفسير النسفي هامش تفسير الخازن ، الجزء الثالث ، ص 280 .

[4] - الحج آية 77 -78 .

1-ذكر مكان التدرج والتكوين "الرحم"←←يقابلها←←←←ذكر مكان نمو النبات"الأرض"

2- خروج الإنسان طفلاً ثم تدرجه في النمو حتى البلوغ ثم يرد

إلى أرذل العمر ←←← يقابله ا←←خروج النبات

بهيجاً

3-التركيز على ذكر ما يحدث للنطفة في الرحم←←يقابلها←←التركيز على ما يحدث للأرض في عملية الإنبات وليس ما يحدث للنبات

4- همود الأرض بمنزلة موت الإنسان←←←يقابلها←←←اهتزاز الأرض وإنباتها يماثل الحياة بعد الموت[1]

3- **التقابل بين السجدتين** :

من صور التقابل البنائي ما ورد في آية السجدة الأولى في السورة وهي قوله تعالى : "**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ العَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ**" [2] ، حيث قابلت الآية بين المخلوقات التي عبدها[3] الناس من دون الله ، والملاحظ أن هذه المخلوقات قسم منها سماوي وهي : الشمس والقمر والنجوم ، والقسم الآخر منها أرضي وهي : الجبال والشجر والدواب .

ومن التقابل أيضاً المقابلة الحاصلة بين أصناف الناس من حيث العقيدة ، فهنالك المجادل على الباطل والمتشكك في نصرة الله والكافر والمشرك ، يقابلهم صنف واحد وهم المؤمنون ، فالإيمان هنا يقابله ويضاده الكفر والشرك وما يندرج تحتهما ، على الرغم من أن الآيات لم تقابل بين هذه الأصناف ، ولكن من يمعن النظر في السورة ينجلي له هذا الوجه من المقابلة الضمنية .

ومن التقابل أيضاً ما ورد في سياق الآيات المتحدثة عن العبادة ، فهنالك العبادة الحركية كالصلاة والحج وهنالك العبادة القلبية كالإيمان وتعظيم شعائر الله وتقوى القلوب .

ومن التقابل أيضاً ما ورد في قوله تعالى : " وبئر معطلة وقصر مشيد "[4] ، فالبئر تتجه نحو العمق والانخفاض ويقابله القصر المشيد الذي يتجه نحو العلو والارتفاع ، وهذا

---

[1] - ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، مرجع سابق ، ص 203 .

[2] - الحج آية 18 .

[3] - الألوسي ، روح المعاني ، مرجع سابق ، ج9، ص 131 ، البقاعي ، نظم الدرر ، ج13، ص 26

[4] - الحج آية 45 .

التقابل والتضاد بين البئر والقصر – وإن خفي على البعض - ليتضح منه جمال المفارقة بين المتقابلين فالأشياء " تتميز حيناً من خلال التعريف بها، وحيناً من خلال مقارنتها بما يماثلها ، وحيناً بما يضادّها من الظواهر "[1].

[1] - البستاني ، القواعد البلاغية ، مرجع سابق ، ص 155 .

الفصل السابع

أسلوب التضمين

المفهوم

أشار ابن جني إلى التضمين بقوله في باب استعمال الحروف بعضها مكان بعض : " اعلم أن الفعل إذا كان بمعنى فعل آخر ، وكان أحدهما يتعدى بحرف والآخر بآخر، فإنّ العرب قد تتوسع فتوقع أحد الحرفين موقع صاحبه إيذانا بأنّ هذا الفعل في معنى ذلك الآخر ، لذلك جيء معه بالحرف المعتاد على ما هو في معناه "[1] ، أي أنه قد يتضمن فعل معنى فعل آخر فيؤدي معناه .

والتضمين " إعطاء الشيء معنى الشيء ، وتارة يكون في الأسماء وتارة يكون في الأفعال ، وفي الحروف "[2] . ويأتي التضمين في الأسماء ، وفي الأفعال ، وفي الحروف ؛ لإفادة المعنيين جميعاً[3] .

وبهذا فالتضمين " إحداث علاقة بين طرفين من خلال جعل أحدهما مقتبساً أو متضمناً لدلالة الآخر "[4] .

وفي التضمين فائدة اختصار في اللفظ واتساع في الدلالة ، لأنه يورد لفظة واحدة تحمل دلالة لفظتين ، واللفظتان مقصودتان في السياق ، بمعنى أن القائل لجأ إلى استعمال هذه اللفظة لتدل على المعنيين معاً .

والتضمين في اللغة العربية " لطيف حسن ، يدعو إلى الأنس بها والفقاهة فيها ، وفيه أيضاً موضع يشهد على من أنكر أن يكون في اللغة لفظان بمعنى واحد " [5] .

ومن يتتبع سورة الحج يلحظ في بعض مفرداتها معنى التضمين ،وهذا الأسلوب في السورة ، يتآزر مع الأساليب الأخرى كالتقديم ، والتأخير ، والالتفات ، وغيرها ، ليكشف جماليات التعبير القرآني فيها .

وقد ورد التضمين في السورة في محورين :

---

[1] - ابن جني ، الخصائص ، حققه محمد علي النجار ، الطبعة الثانية ، دار الهدى ، بيروت – لبنان ، الجزء الثاني ، ص 308 .

[2] - بدر الدين الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، مرجع سابق ، ج3 ، ص 388 .

[3] - الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، المرجع السابق نفسه ،ج3 ، ص 388 .

[4] محمود البستاني ، القواعد البلاغية في ضوء المنهج الإسلامي ، مرجع سابق ،ص 217 .

[5] - ابن جني ، الخصائص ، مرجع سابق ، ج2، ص 310 .

أولاً: التضمين في الأفعال :

من المعلوم بديهةً أنّ لكل لفظ دلالته ، ولكل تركيب مقصده ، ولكن قد يلجأ المتكلم أو الكاتب أحياناً إلى أن يذكر كلمةً ويقصد فيها معنيين ، أي أن يُضمّن الكلمة معناها و معنى كلمة أخرى ، تُوسِّعُ معناها وقد تعمل عملها ، فنحصل من ناتج هذه الكلمة على معنيين وعملين ، ليؤديا غرضاً معيناً ، ويحققا دلالةً جديدة ، إضافةً إلى إبراز التفنن في أساليب الخطاب .

كان للتضمين في السورة وجود بارز على ساحة الأفعال ولأجل ذلك سأورد بعضا من هذه الأفعال وليس كلها بما أراه يسد الحاجة ويؤدي المطلوب . ولأجل ذلك سأبدأ بذكر الفعل ، والمعنى الذي أداه ، ثم أبسط الكلام في تفاصيله ، وأربطه مع السياق الخاص بالآية ، والجو العام للسورة ؛ لأكشف عما أضافه هذا الأسلوب من معنىً ، وما أداه من دلالة ، ناهيك عما يؤديه أيضاً من جمال في التركيب ، وصياغة حسنة له .

1- كتب بمعنى قضى.

وردت كلمة كتب في سياق الآية التي تحدثت عن المُجادل الذي يجادل بغير علم ، ولا يستند على حجةٍ واضحة أو برهانٍ ساطع . وذلك في قوله تعالى: " **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ ، كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ**" [1] .

تضمن الفعل كُتب معنى قضى ، وكلا المعنيين جاءا بمعنى وقوع الأمر وانتهائه. وأشار الطبري في تفسيره بقوله : " فمعنى كُتب هنا قضى " [2]، حيث أفادت الكتابة ثبات الشيء ، بمعنى أنّ من تبع الشيطان ، فإنّه قد ثبُت على الشيطان بالكتابة والقضاء من الله – سبحانه وتعالى – الإضلال ، والنتيجة الحتمية الجحيم والسعير . وفي استعمال لفظة الكتابة دون لفظة " قضى " لما في الكتابة من معنى " الرقم والإثبات "[3] ، أي غاية تضمين الكتابة معنى القضاء هي تحقق الشيء وثباته .

---

[1] - الحج آية 3-4

[2] -الطبري ، تفسير الطبري ، ج17، ص 136 ، وانظر ، سعيد حوى ، الأساس في التفسير ، الطبعة الثانية ، دار السلام للطباعة والنشر ،1989 ، ج 7 ، ص ، 3523 ،

[3] - شيخ زاده ، حاشية شيخ زاده على تفسير البيضاوي ، مرجع سابق ، ج3 ، ص 374 .

2- القضاء بمعنى الإزالة :

ورد الفعل ليقضوا في سياق الآيات التي جاءت تتحدث عن مناسك شعائر الحج وذلك في قوله تعالى : " **لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا البَائِسَ الفَقِيرَ ، ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالبَيْتِ العَتِيقِ** "[1] حيث تضمن الفعل " ليقضوا " هنا معنى الفعل " ليزيلوا "[2] وأخذ عمله ، فالقضاء لازم وفعل الإزالة متعدٍ ، ونلحظ هنا أن ليقضوا جاء متعدياً ،بدليل أنه أثر في الاسم الذي بعده فنصبه ، والاسم الذي بعده هو قوله : " تفثهم " والتفث هو الوسخ[3] فجاء التفث هنا منصوباً رغم أنّ فعل القضاء لازم ، إلا أنه عندما تضمن عمل الفعل المتعدي " أزال " أخذ عمله فعمل في الذي بعده ، هذا من الناحية الإعرابية . أما من الناحية الدلالية فإن القضاء أدّى دلالتين هما : الإزالة والاستباحة[4] ، أي استباحة ما حُرم عليهم بالإحرام بعد ما تحللوا من الإحرام . ومن جهة أخرى فإن قضى هنا أفادت معنى انتهاء الفعل بإزالة الأوساخ ، وهي التفث ، وقيل إن معنى القضاء هنا " القطع ، والفصل وأريد به الإزالة مجازاً "[5] ، وقيل أيضاً إن القضاء بمعنى الأداء ، أي ليؤدّوا مناسكهم، فكان التعبير عن النسك بالتفث[6].

خلاصة الأمر أن استعمال لفظ " القضاء " وتضمنه معنى "الإزالة"حقق مبدأ " الإحلال والخروج من الإحرام "[7] ، ومن جانب آخر فان الحاجّ في أثناء إحرامه يُمنع عن أمور مباحة ، كقص الشارب ونتف الإبط وغيره ، فلما جاء وقت الإحلال أصبح الممنوع عنه سابقاً بمثابة الشيء الذي عليه قضاؤه ، وهذا ما أشار إليه الألوسي بقوله : " والتعبير بذلك – أي القضاء – لأنه لِمُضيّ زمان إزالته عدّ الفعل قضاءً لما فات "[8]، والقضاء بهذا يقع مقابل الأداء[9] ، أي ليؤدوا ما عليهم من أمور مُنِعوا عنها في أثناء إحرامهم .

---

[1] - الحج آية 28 – 29

[2] - - شيخ زاده ، حاشية شيخ زاده على تفسير البيضاوي ، مرجع السابق ، ج3، ص 382 ، وانظر محيي الدين الدرويش ، إعراب القرآن الكريم وبيانه ، مرجع سابق ، ج6 ، ص 421 .

[3] - أبو السعود، تفسير أبي السعود ، مرجع سابق ، ج5 ، ص 104 .، وانظر محيي الدين الدرويش ، إعراب القرآن الكريم وبيانه ، مرجع سابق ، ج6 ، ص 421 .

[4] - وانظر محيي الدين الدرويش ، إعراب القرآن الكريم وبيانه ، مرجع سابق ، ج6 ، ص 421 .

[5] - الألوسي ، روح المعاني ، مرجع سابق ، ج9 ، ص 146

[6] - الألوسي ، روح المعاني ، المرجع السابق نفسه، ج9 ،ص 146

[7] - شيخ زاده ، حاشية شيخ زاده على تفسير البيضاوي ، مرجع سابق ، ج3 ، ص 382 .

[8] - الألوسي ، روح المعاني ، مرجع سابق ، ج 9، ص 146.

[9] - الألوسي ، روح المعاني ، المرجع السابق نفسه، ج9 ،ص 146

3- لتكبروا بمعنى لتشكروا :

ورد لفظ لتكبروا متضمناً معنى لتشكروا في قوله تعالى : " **لَنْ يَنَالَ اللهَ لُحُومُهَا وَلا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ** " [1] حيث تضمّن الفعل لتكبروا معنى لتشكروا ، أي لتشكروا الله ، وأدى فعل التكبير عمل فعل الشكر لأنّ فعل التكبير لازم ، وفعل الشكر فعل متعدٍ ،وبهذا أدى الفعل لتكبروا عندما تضمن الفعل لتشكروا معناه ، وعمله[2] .

وأما تكرار التسخير في هذه الآية والآية التي قبلها جاء ليفيد " تذكير النعمة بالتسخير ، ثم قال : لتشكروا الله على هدايته إياكم ، لإعلام دينه ، ومناسك حجه ، بأن تكبروا وتهللوا ، فاختصر الكلام بأن ضمن التكبير معنى الشكر ، وعدي تعديته"[3]. بمعنى أن تكرار لفظ التسخير في الآيات يدل على نِعَم الله الكثيرة على خلقه ، فيتوجب على خلقه الشكر.

ويبدو أن غاية التضمين هنا جاءت لتوضح دلالتين هما: ذكر اسم الله على الذبيحة عند ذبحها[4] بأن يقول : " باسم الله الله أكبر ، اللهم منك وإليك " ودليل ذلك السياق الذي ورد فيه التضمين ، حيث تحدثت الآيات عن آخر ما يقوم به الحاج من مناسك ، ومنها تقديم الأضحية لله بذبحها . والدلالة الثانية هي أنه عندما يفرغ الإنسان من تأدية فريضة من فرائض الله التي افترضها عليه ، وجب عليه شكر الله عليها بقوله: " الحمد لله على ما أولانا "[5] وبهذا يتوضح من هذا التضمين وجوب ذكر اسم الله إما عند الذبح ، وإما عند شكر الله وحمده .

4- لهدمت بمعنى تعطلت :

---

[1] - الحج آية 37

[2] - انظر شيخ زاده ، حاشية شيخ زاده على تفسير البيضاوي ، مرجع سابق ، ج3 ، ص 386 ، وانظر السمّين الحلبي ، الدر المصون ، مرجع سابق ، ج5 ، ص 152 . وانظر أبو حيان الأندلسي ، البحر المحيط ، مرجع سابق ، ج7 ، ص 510 ، والبقاعي ، نظم الدرر ، مرجع سابق ، ج13 ، ص 53 .

[3] - الزمخشري ، الكشاف ، مرجع سابق ، ج3 ، ص 159 .

[4] - أبو السعود ، تفسير أبي السعود ، مرجع سابق ، ج5 ، ص 108 .

[5] - الخازن ، باب التأويل في معاني التنزيل ، مرجع سابق ، ج3 ، ص 290 . وانظر الألوسي ، روح المعاني ، مرجع سابق ، ج9 ، ص 158 .

جاء لفظ التهديم هنا متضمناً معنى التعطيل[1] في قوله تعالى : " **الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ** " [2] سياق الآية يتحدث عن الذين أخرجوا من ديارهم بغير وجه حق ، والسبب أنهم قالوا : ربنا الله . وكما هو معلوم أنّ العدو العقدي " أي الذي يحارب الآخرين لأجل عقيدتهم بناءً على عقيدته " عند قدرته وانتصاره عليهم - والمقصود هنا غير المسلمين - سيلجأ إلى أمرين .

أحدها : تعطيل العبادة في دور العبادة من خلال تخريبها[3]بالاستيلاء عليها .

والآخر : لجوؤه أحياناً إلى هدم رموز العبادة عند الآخرين ، ورموز العبادة هي دور العبادة " كالمساجد ، والبيَع ، والصّلوات ، والصّوامع "[4] ، حتى لا تقوم لغيرهم قائمة

كما أشار التضمين هنا إلى معنى آخر يُفهم من سياق الآية ، وهو المبالغة في ظهور الفساد ووقوع الاختلال في أمر العباد[5]

فيلحظ كيف أنه عندما تضمّن الهدم فعل التعطيل أدى هذه المعاني كلها .

5- أمليت بمعنى أمهلت :

ورد لفظ أمليت في السورة مرتين في موضعين مختلفين .

الموضع الأول : قوله تعالى : " **وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ، وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ، وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَى فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ** " والموضع الثاني : قوله تعالى : " **وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ المَصِيرُ**" [6]

---

[1] - أبو حيان الأندلسي ، البحر المحيط ، مرجع سابق ، ج7 ، ص 518 .وانظر شيخ زاده ، حاشية شيخ زاده على تفسير البيضاوي ، مرجع سابق ، ج3 ، ص 387 .

[2] - الحج آية 40

[3] - أبو السعود ، تفسير أبي السعود ، مرجع سابق ، ج5 ، ص 109

[4] - البقاعي ، نظم الدرر ، مرجع سابق ، ج13 ، ص 57 .

[5] - الألوسي ، روح المعاني ، مرجع سابق ،ج9 ، ص 164 .

[6] - الحج آية 42- 44 ، 47

فالمتتبع للآيتين يجد أن الإملاء تضمن معنى الإمهال[1] ، وهو الإمهال أو المُدة التي أمهلها الله للأمم السابقة ليؤمنوا برسلهم لوضوح آية الرسول المبعوث لهم ، ومصطلح الإملاء يحمل في طياته دلالة الانتهاء والعاقبة والجزاء ، أي إنّ العقاب واقع بهم لا محالة ولكنه سيقع بعد انتهاء الآجال المقدرة[2] لهم من الله .

ومن ناحية أخرى فقد حقق التضمين هنا معنيين هما : المهلة والعقاب ، بمعنى إمهال القرى السابقة ، ثم إيقاع العذاب بهم لكفرهم .

كما أن استعمال لفظ الإملاء دون لفظ الإمهال ، لما يحمل الإملاء من معنى ثبوت الأمر ووقوعه بعلم الله ، بمعنى قضاء الله على الأمم التي كذبت برسلها الموت والعقاب ، فالغاية التي أداها التضمين هي: " الأخذ العاجل الشديد بعد الإملاء المديد " [3] .

6- ضُرب بمعنى جعل .

ورد لفظ الضرب في قوله تعالى : " **يا أيها الناس ُضرب مثل فاستمعوا له** "[4]. حيث تضمن الضرب معنى الجعل[5] ، وتحقق بذلك الغاية من التضمين وهي أن الضرب توافق مع لفظة المثل لسيرورته وانتشاره وغرابته ، وأما الجعل فقد تناسب مع أفعال الكافرين في أنهم جعلوا مع الله آلهة أخرى . فلو قال : " جُعل مثل فاستمعوا له " لما أفاد المقصود وهو المعنى الذي أراده الله من المثل ، لأن المقصود من المثل بيان ضعف المدعوّ من دون الله وعجزه على مدار الأيام ، والمناسب لهذا المقصود استعمال الضرب الذي يتضمن معنى الجعل . لأن الكفار بجعلهم مع الله آلهة جعلوا هذا الأمر في انتشاره كالمثل .

---

[1] - البيضاوي ، تفسير البيضاوي ، مرجع سابق ، ج4 ، ص 130 ، وانظر أبو حيان الأندلسي ، البحر المحيط ، مرجع سابق ، ج7 ،ص 519 .

[2] - البيضاوي ، تفسير البيضاوي ، مرجع سابق ، ج4 ، ص 130

[3] - أبو السعود ، تفسير أبي السعود ، مرجع سابق ، ج5 ، ص 112 .

[4] - الحج آية 73 .

[5] - الألوسي ، روح المعاني ، مرجع سابق ، ج9 ، ص 200 ، وانظر البيضاوي ، تفسير البيضاوي ، مرجع سابق ، ج4 ، ص 140 .

ثانياً :التضمين في الحروف :

كما ورد التضمين في محور الأفعال ، ورد التضمين أيضاً في محور الحروف ، إلا أنه لم يكن بالكمّ الذي جاء به في الأفعال ، ومن ورود صور تضمين الحروف ما يلي :

1- على بمعنى مع :

ورد ذلك في قوله تعالى : " **فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيد** "[1]

فالتضمين الحاصل في حرف الجر "على " أفاد غايتين هما :

1- الاستعلاء .

2- المعية .

فالاستعلاء تناسب مع تدمير القرية حيث تعلو أشياؤها بعضها على بعض ، فالسقوف التي سقطت على الأرض فصارت في قرار الحيطان وبقيت الحيطان " ماثلة فهي مشرفة على السقوف الساقطة "[2] ، والإشراف لا يكون إلا من علوّ ، فناسب ذلك استعمال حرف الجر على.

وقيل إنّ خاوية حملت معنيين تناسبا مع هذا التضمين ، فالمعنى الأول أن خاوية من الفعل خوى النجم بمعنى سقط والسقوط للسقوف والحيطان[3] ، والتناسب هنا جاء من حيث اللفظ أي أن أجزاء القرية المدمرة بعضها يعلو على بعض . والمعنى الثاني أن خاوية مأخوذة من الفعل خوى بمعنى خوى المنزل إذا خلا من أهله، أي أن المنازل خالية من أهلها مع بقاء عروشها[4] ، أي أن العروش بقيت مع بعضها بعضاً لم تدمر .

فالتضمين هنا أصاب الغرضين معاً، وهذا أبلغ في وصف المشهد .فسواء دُمِرَت القرى بعضها على بعض أم خلت من أهلها ، فالمناسب لهذين المعنيين استعمال "على"

---

[1] - الحج آية 45

[2] - الزمخشري ، الكشاف ، مرجع سابق ، ج3 ، ص 162 ،

[3] - أبو السعود ، تفسير أبي السعود ، مرجع سابق ، ج5 ، ص 111 – 112 .

[4] - انظر : أبو السعود ، تفسير أبي السعود ، مرجع سابق ، ج5 ، ص 111 – 112

المتضمنة معنى الاستعلاء والمعية ؛ فالاستعلاء متناسب من جهتين هما : إشراف الحيطان على السقوف الساقطة ، والعظة والاعتبار التي يأخذها الناس من دمار القرى ؛ لأن العظة لا تكون إلا بعد المشاهدة والوقوف على الشيء المدمّر ،وهنا يتجلى الاستعلاء أيضًا .

وأما المعية فتناسبها جاء من بقاء السقوف والحيطان بعضها مع بعض دون هدم.وكلا المعنيين تناسب مع مضمون الآية التي تلتها وهي قوله تعالى : "**أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ** "[1]

2- لن بمعنى لا.

وذلك في قوله تعالى : " **يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوب** "[2] جاءت لن هنا في قوله تعالى : " لن يخلقوا " بمعنى لن +لا ، وذلك لزيادة النفي لأن لن " أخت لا في نفي المستقبل ، إلا أن لن تنفيه نفياً مؤكداً "[3] ، كما إن لن " بما فيها من تأكيد النفي دالة على منافاة مابين المنفي والمنفي عنه "[4] .

فيلحظ كيف تضمنت لن معنى لا ، وأدت كلا المعنيين ، الاستمرارية والتأكيد مع النفي ، أي إنهم يستحيل أن يخلقوا ذباباً ، أضف إلى ذلك أنه لو استعمل لا بدلاً من لنْ ، لأفاد إمكانية قدرتهم على خلق أشياء أخرى غير الذباب ، وهذا الكلام غير صحيح ، فالمراد نفي قدرتهم على الخلق وإظهار ضعفهم وعجزهم مع تأكيد ذلك .فحسن استعمال لن وتضمنها معنى لا .

3- في بمعنى إلى

وردت هذه الصياغة في قوله تعالى :

"**يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ، وَلَهُمْ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ ، كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيق** "[5].

---

[1] - الحج آية 46

[2] - الحج آية 73

[3] - - الزمخشري ، الكشاف ، مرجع سابق ، ج3 ، ص 171 ، وانظر : أبو حيان الأندلسي ، البحر المحيط ، مرجع سابق ،ج7 ، ص 537 .

[4] - البيضاوي ، تفسير البيضاوي ، مرجع سابق ، ج4 ، ص 141 ، وانظر : أبو السعود ، تفسير أبي السعود ، مرجع سابق ، ج5 ، ص 121 .

[5] - الحج آية 20 -22

ورد التضمين بين الحرفين " في وإلى " في الآية السابقة التي تحدثت عن أحوال الكافرين في النار ، أي إنهم لشدة العذاب والغم الذي هم فيه ، كلما أرادوا الهروب والخروج من النار أعيدوا فيها .

حيث تضمنت فيها معنى إليها[1] ،وفي هذا التضمين إشعار برد "من في النار من أعالي جهنم إلى أسافلها[2]" ، والمعنيان في هذا التضمين جاءا مراعاة إما لمن في النار وهم الكفرة المعذبون ، وأما لخزنة النار وهم ملائكة العذاب ،

فإن "في" تتناسب مع فعل الخزنة وهم ملائكة العذاب ، والذين كلما رفع لهيب النار الكفرة ضربوهم بالمقامع[3] التي تردّهم إلى المكان الذي رُفعوا منه .

وأما " إلى" فتتناسب مع ما يفكر به الكفرة المعذّبون ، وتفكيرهم في الخلاص من العذاب والهروب منه، فلما يرفعهم لهيب النار يظنون أنهم سيخرجون منها فيفاجأون بالمقامع التي تردهم للأسفل .

فالتضمين هنا حقق غاية معينة وهي استحالة الهروب والخروج[4] من العذاب ، فالكفرة من عذاب إلى عذاب .

وأما لفظ الإعادة في الآية فليس معناه أنهم يخرجون أو يهربون من النار بل على العكس فالإعادة صورة من صور العذاب.

4- اللام بمعنى على

ورد هذا التضمين في قوله تعالى :

" **يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ، وَلَهُمْ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ ، كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ** "[5].

فالآية تتحدث عن أنواع العذاب الذي يعُم الكافرين ومنه المقامع التي يُضربون بها في قوله " **وَلَهُمْ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ** " فلهم هنا تضمنت معنى " عليهم "[6] حيث حقق التضمين الغايات التالية وهي : التخصيص والاستحقاق[1] والاستعلاء .

---

[1] - الألوسي ، روح المعاني ، مرجع سابق ، ج9 ، ص 135 ،وانظر : سعيد حوى ، الأساس في التفسير ، مرجع سابق ، ج7 ، ص 3539 ،

[2] - الألوسي ، روح المعاني ، مرجع سابق ، ج9 ، ص 135، وانظر : أبو السعود ، تفسير أبي السعود ، مرجع سابق ، ج5 ، ص 102 .

[3] - الألوسي ، روح المعاني ، مرجع سابق ، ج9 ، ص 135

[4] - انظر : الألوسي ، روح المعاني ، مرجع سابق ، ج9 ، ص 135

[5] - الحج آية 20 -22

[6] - انظر : الألوسي ، روح المعاني ، مرجع سابق ،ج 9 ، ص 135.

فالتخصيص متعلق باللفظ " لهم " أي تم إعداد مقامع لصنف معين ، وهـــم الكفـــرة لا لغيرهم فالمقامع لتعذيبهم[2] لأنهم يستحقونها لكفرهم ، وأما الاستعلاء الذي يؤديه حرف الجر " على " فهو يتناسب مع المعنى المصاحب لآلية عمل المقامع ، فهي تهوي من أعلـــى إلـــى أسفل ، ولكون الكفرة في أسفل النار فالمقامع تهوي عليهم عندما يرفعهم لهيب النار .

[1] - انظر : الألوسي ، روح المعاني ، المرجع السابق نفسه ، ج 9 ، ص 135

[2] - انظر : أبو السعود ، تفسير أبي السعود ، مرجع سابق ، ج5 ، ص 101 .

الفصل الثامن

أسلوب التدرج

المفهوم

إن من يتمعن في سورة الحج يلحظ أنها تقوم بانتهاج أساليب متعددة عند ذكر بعض الموضوعات ، ومن بين هذه الأساليب أسلوب التدرج سواء أكان من الخاص إلى العام أم العكس ، أم من الشريف إلى الأشرف أم العكس ، أم غيرها من أنواع التدرج .

ويقصد بالتدرج : "هو أن يُطرح الموضوع بشكل مُجمل ثم يُفصّل الموضوع على نحو تدريجيّ بحيث تُراعى من خلاله مراحل الإدراك الذهني للقارئ "[1] ، ويقصد به أيضاً التسلسل القائم على التفصيل والتوضيح لمعنى مراد ، متخذاً الترتيب منهجاً له في بناء الفكرة وعدم ذكرها دفعة واحدة ، وذلك ليتحقق إلى جوار الجمال التعبيري معانٍ بلاغية .

فعرض الفكرة بشكل تدريجي يراعي الجانب الذهني الإدراكي للقارئ ، هذا من جهة ،ومن جهة أخرى تُحقق توضيحاً للمعنى المراد ، يضاف إلى ذلك أن التدرج يسعى إلى تعميق الفكرة والمعنى في نفس المتلقي ، ولهذا الأمر استعمل القرآن هذا الأسلوب عند حديثه عن بعض الموضوعات .

وقد أشار الزركشي إلى وجود التدرّج في القرآن عند حديثه عن ارتباط بعض فواصل الآيات مع بعضها بعضاً[2] ، وما يحققه التدرج من فوائد جليلة .

أما عن التدرج في سورة الحج فقد أشار إليه كثير من المفسرين : كالزمخشري[3] ، وأبي السعود[4]، وأبي حيان[5] ، والألوسي[6] ، والسمين الحلبي [7] ، وغيرهم ، وبالأخص عند حديثهم عن مراحل خلق الإنسان . وبعد التمعن في سورة الحج تبيّن أن التدرج جاء متوزعاً على خمسة أساليب مفصلة على النحو التالي :

---

[1] -محمود البستاني ، القواعد البلاغية في ضوء المنهج الإسلامي ، مرجع سابق ، ص 107 .

[2] - الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، مرجع سابق ، ج1 ، ص 70 ،

[3] - الزمخشري ، الكشاف ، مرجع سابق ، ج3 ، ص 172

[4] - انظر: أبو السعود ، تفسير أبي السعود ، مرجع سابق ، ج5 ، ص 94

[5] - انظر : أبو حيان ، البحر المحيط ، مرجع سابق ،ج7 ، ص 539

[6] - انظر : الألوسي ، روح المعاني ، مرجع سابق ، ج9 ، ص 114 .

[7] - انظر :السمين الحلبي ، الدر المصون ، مرجع سابق ، ج5 ، ص 154

أولاً: التدرج المرحلي التكويني .

ويُقصد به عرض مراحل تكوين الإنسان والنبات المتحدث عنهما في سورة الحج في قوله تعالى :

" يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ البَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ العُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا المَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ "[1].

فكما هو معلوم أن الإنسان في خلقه يمر بأطوار متدرجة ضمن مراحل مختلفة ، فقد عرضت السورة شكلين من أشكال هذا التدرج ، هما :

1_ المرحلة الجنينية (الخفية) داخل الرحم :

تحدثت الآيات عن هذا التدرج بعد أن تحدثت عن البعث ، وضربت مثالاً حياً دالاً على قدرة الله على إحياء الموتى وبعثهم ، وهو دليل خفي يحدث في ظلمات الرحم لا يُرى بالعين المجردة بمعنى أنه غير مشاهد[2] ، فقد فقال تعالى : **"يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ البَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ "** ، فهذه المراحل والأطوار[3] ، كما وضحتها الآيات والتي هي التدرج من التراب إلى النطفة ثم تنتقل هذه النطفة إلى مرحلة أخرى وهي العلقة ، ثم تصبح مضغة ، وهذه المضغة إما مسواة تامة يتكون منها الطفل ، وإما غير مسواة فتسقط .

ويُلحظ على هذه المراحل التدريجية خفاؤها ، وجاءت هكذا لتبين قدرة الله على إعادة الخلق من جديد . ولكن هذا الدليل يحتاج إلى تدبر وتأمل من خلال رؤية النتيجة وهو خروج الطفل .

---

[1] - الحج آية 5

[2] - البقاعي ، نظم الدرر ، مرجع سابق ، ج13 ، ص 12

[3] - البقاعي ، نظم الدرر ، المرجع السابق نفسه ، ج13 ، ص 9 ، وانظر ابن عاشور ، التحرير والتنوير، مرجع سابق ، ص 200 – 201 . وانظر : أبو السعود ، تفسير أبي السعود ، مرجع سابق ، ج5 ، ص 94 .

أما الدليل الأخر والمتصل بهذا الدليل اتصالاً مباشراً فهو ما يأتي في المرحلة التدريجية الظاهرة .

2- **المرحلة التدريجية الظاهرة** :

وهي المرحلة التي تبدأ بعد اكتمال الجنين في الرحم وإكماله للمدة الزمنية المقررة له في رحم أمه ، فقد قال تعالى - بعد أنْ أنهى الحديث عن مرحلة التطور الخفية - : " **ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا** "

فالآيات هنا بدأت بتفصيل الأطوار بعد الحديث عن أولى مراحل هذه الأطوار ، وهي فترة الطفولة حيث عرضت الآيات وفصّلت مراحل تدرج الإنسان من الطفولة إلى البلوغ ثم الأشد ثم إلى الكِبَر ، و في النهاية الموت وهو المحصلة النهائية للمرحلتين.

وعند تفحص عرض هذه المراحل يتبيّن أن السورة قد اتخذت منهج التقابل في هذا التطور أو التدرج المرحلي ، حيث ركزت الآيات على توضيح المراحل وتفصيلها سواء الجنينية الخفية ، أو المراحل الظاهرة ، ولم تركز على ذكر تفصيلات مكان تطور مراحل الجنين ألا وهو الرحم ، لأن المقصود إثبات حقيقة البعث وأن الله قادر على إعادة الخلق مرة أخرى كما أنشأهم من العَدم .

وبعد هذا المثال وهو خاص بالإنسان ضرب الله مثلاً آخر طبيعياً وهو إنبات النبات ، فقال : "**وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا المَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ** " فالاهتزاز والربوّ والإنبات خاص بالأرض ، حيث ركزت الآيات على تصوير الأرض بالهمود والسكون ثم ذكرت اهتزاز الأرض وربوها وهذان أمران غير مشاهدين بالعين[1] ، فهو بهذا يقابل المراحل التي ذكرناها في المرحلة الجنينية الخاصة بالإنسان من حيث إن المرحلتين غير مشاهدتين .

أما خروج النبات وهو أمر محسوس [2] ومشاهد بالعين ، فهو يقابل المرحلة التدريجية الظاهرة للإنسان وهي مرحلة الطفولة . فالنبات الظاهر يقابل الطفل الظاهر ، والاهتزاز غير المشاهد بالعين وغير المحسوس يقابل ما يحدث في ظلمات الرحم .

---

[1] - ابن عاشور ، التحرير والتنوير، مرجع سابق ، ج16 ، 203

[2] - البقاعي ، نظم الدرر ، مرجع سابق ، ج13 ، ص 12

ثانياً : التدرج البنائي المتداخل :

لهذا النمط من التدرج علاقة واضحة مع بناء السورة العام ؛ وذلك أن الآيات افتتحت بذكر لفظ الناس الذي يشمل المؤمن وغيره من أصحاب العقائد المختلفة ، وبعد ذلك لجأت السورة إلى ضرب الأمثال الدالة على قدرة الله مستعملة أسلوب التدرج البنائي ؛ لأنها ابتدأت بلفظ يدل على العموم هو لفظ " الناس " ثم ختمت السورة بلفظ يدل على الخصوص وهو " الذين ءامنوا " ثم عادت السورة إلى ما ابتدأت به وهو ضرب الأمثال الدالة على قدرة الله ، والعلاقة بين ضرب الأمثال ولفظ الناس علاقة ترتيبية ، بمعنى أن من يشاهد هذه الآيات الكونية وجب عليه الإيمان ، ومن ناحية ثانية إن إيمان المتتبع لهذه الآيات والناظر فيها ازدياد ونمو.

وبعد هذا التفصيل وربطه بمضمون السورة وتدرجها البنائي ، نشرع في توضيح المقصود من العنوان . فالمقصود هو التسلسل المناسب في عرض مراحل الحج بأسلوب يتآزر ويتعاضد مع بعضه بعضاً ليشكل بناءً متماسكاً ومتراصّاً ، حيث ورد هذا التدرج في الآيات التالية : **"لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا البَائِسَ الفَقِيرَ ، ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالبَيْتِ العَتِيقِ ، ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ، حُنَفَاءَ للهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ، ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى القُلُوبِ ، لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى البَيْتِ العَتِيقِ ، وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ المُخْبِتِينَ ، الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ، وَالبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا القَانِعَ وَالمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ، لَنْ يَنَالَ اللهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللهَ عَلَى مَا**

هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ المُحْسِنِينَ"[1] . هذه الآيات تحدثت عن الحج بشكل تفصيلي ، ابتداءً من القدوم ، وانتهاء بنحر الأضاحي ، وشكر الله عليها ، واتخذ هذا التدرج أسلوبين متآزرين هما : العمل الحركي الخارجي ، والعمل القلبي الداخلي ، ومن هنا جاء التداخل ، فمن العمل الحركي الخارجي القدوم للحج على الضوامر ، وقضاء التفث ، والطواف ، ونحر الأضاحي ، وغيرها ، ومن الأعمال القلبية الداخلية تعظيم شعائر الله والوحدانية ، وعدم الإشراك بالله ، وتعظيم حرمات الله .

فالعمليات الحركية الخارجية والقلبية الداخلية يتآزر بعضها مع بعض ؛ ليُحققا هدفاً واحداً منشوداً ،ألا وهو الارتقاء إلى التقوى التي تحدثت عنها الآيات في بداية السورة وجاءت متوزعة على محاور السورة بشكل عام ، بحيث تكرر أمر التقوى مع القلوب في السورة ثماني مرات ، في ثمانية مواضع ، لذلك ربما كان الهدف من العمل الخارجي الحركي هو زيادة التقوى في القلب ، وهذا أمر لا يتحصل إلا إذا رافقه عمل قلبي .

فيلحظ هنا كيف تداخل العمل الخارجي مع العمل القلبي بصورة متقابلة لا تقوم على التضاد وإنما تقوم على مبدأ التكامل.

ثالثاً : التدرج الوجودي :

ويقصد به التسلسل المترتب أثناء الحديث عن وجود الأشياء من الأقدم وجوداً إلى الأحدث وجوداً ، واتخذ هذا النوع من التدرج نمطين هما :

1- التدرج الوجودي التاريخي :

ورد هذا التدرج في قوله تعالى : "**وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوح وَعَادٌ وَثَمُودُ ، وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ، وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَى فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ**" [2] ، حيث تدرج القرآن في ذكر الأقوام من حيث الأقدم وجوداً ، فالأقدم وجوداً هم قوم نوح ، ثم عاد ، ثم ثمود ، ثم قوم لوط ، ثم أصحاب مدين ،ثم ذكر موسى عليه السلام والذين كذبوه وهم قبط مصر[3] ..

---

[1] - الحج 27 – 37 .

[2] - الحج آية 42 -44

[3] - أبو السعود ، تفسير أبي السعود ، مرجع سابق ، ج5 ، ص 110، وانظر : الألوسي ، روح المعاني مرجع سابق ، ج9 ، ص 165 ، والبقاعي ، نظم الدرر ، مرجع سابق ، ج13 ، ص 61

جاء هذا التدرج لتوضيح حال الأمم وتكذيبهم لرسلهم ، فهذه طبيعة بشرية كائنة منذ أقدم العصور . وفيه أيضاً تسلية للنبي عليه الصلاة و السلام حتى يصبر على أذى قومه وتكذيبهم له .

كما ورد التدرج الوجودي من حيث الترتيب في قوله تعالى عندما تحدث عن النطفة بأنها " مخلقة وغير مخلقة ". وذلك لأنه قدم المخلقة وهي المسواة التامة على غير المخلقة وهي غير التامة . وأشار ابن عاشور إلى مثل هذا النوع من الترتب الوجودي بقوله : " قدم ذكر المخلقة على ذكر غير المخلقة على خلاف الترتيب في الوجود ، لأن المخلقة أدخل في الاستدلال ، وذكر بعده غير المخلقة لأنه أكمل للدليل وتنبيه على أن تخليقها نشأ عن عدم ، فكلا الحالين دليل على القدرة والإنشاء "[1] .

2- **التدرج القيمي** :

ويقصد به التدرج في ذكر الأشياء من الشريف إلى الأشرف[2] ، وقد ورد هذا التدرج في قوله تعالى : " **الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللهُ وَلَولا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ** " [3] فقد تدرجت الآيات في ذكر أماكن العبادة الخاصة بالأديان السابقة ، فبدأت بأدناها منزلة وهي الصوامع الخاصة بالرهبان ، ثم البيَع وهي الخاصة بالنصارى ، ثم الصلوات وهي أشرف ، وهي خاصة باليهود ، ثم أشرفها جميعاً وهي المساجد وهي خاصة بالمسلمين ، حيث ذكرتها الآيات ورتبتها متدرجة من حيث القيمة لأماكن العبادة من الشريف إلى الأشرف[4] .

وعند التمعن في هذين النمطين نلحظ أن الآيات قد تدرجت بذكر الأقوام الأقل إيماناً برسلهم ، إلى ذكر الأقوام الأكثر إيماناً برسلهم ، فكما هو معلوم أن سيدنا نوح عليه الصلاة السلام ، مكث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً ، وما آمن معه إلا قليل ، وكذلك الأمر بالنسبة للرسل الذين جاءوا من بعده، وكان أكثرهم تبعاً سيدنا موسى عليه السلام ، وهذا يتناسب مع ذكر دور العبادة الخاصة بالأقوام السابقين، فالمتعبدون بالصوامع قلة والصوامع للرهبانية ، وأكثرهم من يتعبد بالبيع وهي دور العبادة عند النصارى ، وأكثر

---

[1] - ابن عاشور ، التحرير والتنوير، مرجع سابق ، ج16 ، ص 199 .

[2] - الألوسي ، روح المعاني مرجع سابق ، ج9 ، ص 165 ، محمد سيد طنطاوي ، التفسير الوسيط للقرآن الكريم ، ج16 ، ص73

[3] - الحج آية 40

[4] - أبو حيان ، البحر المحيط ، مرجع سابق ، ج7 ، ص 518

منهم من يتعبد بالصلوات وهي دور العبادة الخاصة باليهود[1] ، وأكثرهم من صلى و تعبّد في المساجد وهم المسلمون ، وهكذا يُلحظ كيف انسجمت الآيات وتناسبت فيما بينها موضحة جمال التعبير البياني ، وتدرجها من الشريف في دور العبادة إلى الأشرف[2] .

رابعاً : التدرج من الخاص إلى العام :

ويقصد به التدرج في ذكر أنواع العبادات ، سواء أكانت متعلقة بالفرد نفسه أم بالفرد والجماعة معاً على حد سواء ، والآيات التي جاءت على هذا النمط هي قوله تعالى : " **وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ** " وقوله : " **الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ** " وقوله : "**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ، وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ** " [3]

فالصلاة وإقامتها أمر فردي خاص يقوم به الفرد مع الجماعة ، ثم الزكاة وهي أمر تشاركي بين الفرد وطائفة من الجماعة ، ثم الأمر بالمعروف وهو أعم حيث يقوم بين الفرد و أفراد المجتمع جميعهم ، وكذلك الأمر بالنهي عن المنكر، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، فإن الصلاة مطلوبة من كل المسلمين ويقدرون عليها كلهم ،أما الزكاة فهي خاصة بطائفة معينة من المسلمين وهم الأغنياء القادرون على دفعها وأدائها.

فالمصلي شريف ، ولكن المصلي المزكي أشرف ، وكذلك المصلي المزكي الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أشرف وأكرم ، ويُلحظ هنا أن هذا التدرج قد جاء في ترقي الإنسان في العبادة ، وكيف يرتقي إلى أعلى درجات العبودية ، وهذا أمر يتوافق ويتقاطع مع التدرج البنائي المتداخل الذي يصل فيه الإنسان إلى أعلى درجات العبادة ، وهي التقوى ، فالمتقي هو المصلي المزكي الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر والقائم بأمور العبادة

---

[1] -انظر: البيضاوي ، تفسير البيضاوي ، مرجع سابق ، ج4 ، ص 129

[2] - أبو السعود ، تفسير أبي السعود ، مرجع سابق ، ج5 ، ص 110، وانظر : الألوسي ، روح المعاني مرجع سابق ، ج 9 ، ص 165 ، والبقاعي ، نظم الدرر ، مرجع سابق ، ج13 ، ص 61

[3] - الحج الآيات 26 ، 41 ، 77 ، 78 .

جميعها ، وهذا الأمر يتآزر ويتناسب مع ما جاء في أواخر آيات السورة في قوله تعالى : " **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الخَيْرَ لعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ، وَجَاهِدُوا فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ** ... " ، فبدأ بأركان الصلاة وهي الركوع والسجود ، ثم تدرج إلى العبادة ، ثم إلى فعل الخير ، وختمها بذروة سنام الإسلام وهو الجهاد لأنه أعظمها[1] .

كما يلحظ أنه عندما تحدث عن الصلاة والعبادة وفعل الخير بدأ بما هو خاص وتدرج إلى ما هو عام[2] من عبادة الله ، ثم عم بالحث على سائر الخيرات[3].

فهذا النوع من التدرج العبادي وتقاطعه وتناسبه مع التدرج البنائي المتداخل ، يقوم على الحركة المتتابعة والمتناسقة " الخارجية والقلبية " كالطواف وقضاء التفت والذبح ، وتقابل هذه الأمور الصلاة والزكاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وفعل الخير وعبادة الله ، وكلها تنسجم مع بعضها بعضاً بشكل متتابع ومتناسق لتشكل في النهاية حقيقة المسلم ، فهو من عبادة إلى عبادة ، فانقضاء عبادة هو بداية لعبادة جديدة ، وهكذا ليبقى المسلم في حركة تواصلية مع ربه ، فكأنه يدور في فلك منتظم ليؤدي دوره في الحياة ، وهو عبادة الله مصداقاً لقوله : " **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون** " [4] . وكأن الأمر هنا ، رغم تدرجه وتداخله ، يرتقي بالعبد من مرتبة إلى أخرى أعلى منها .

ومن جماليات هذا التعبير أن التدرج البنائي المتداخل انتهى بعملية النحر ، وهي إسالة الدماء من الأضاحي ، وهذا يتوافق ويتناسب مع ما ختم به التدرج من الخاص إلى العام ، وهو الجهاد في سبيل الله ، والجهاد أيضاً فيه إسالة للدماء ، فكأن الدماء تتلاقى مع بعضها بعضا ، لترضي ربها ، وهذا التناسب والانسجام ما بين هذه الآيات وتفاعلها مع جو السورة العام وتناسقها فيما بينها ليؤكد حقيقة ثابتة وهي أن هذا القرآن يحوي أسراراً عجيبة في نظمه وأسلوبه .

خامساً :التدرج القيمي التقابلي :

---

[1] - محمد سيد طنطاوي ، التفسير الوسيط للقرآن الكريم ، ج16 ، ص 107

[2] - والبقاعي ، نظم الدرر ، مرجع سابق ، ج13 ، ص 100 ، وانظر

[3] - سعيد حوى ، الأساس في التفسير ، مرجع سابق ، ج7 ، ص 3603 . وانظر البقاعي ، نظم الدرر ، مرجع سابق ، ج13 ، ص 100 ، وانظر الألوسي ، روح المعاني مرجع سابق ، ج9 ، ص 208 . و أبو حيان ، البحر المحيط ، مرجع سابق ، ج7 ، ص 539 .

[4] - الذاريات آية 56 .

ويقصد به التدرج في ذكر المخلوقات التي عُبدت من دون الله ، في قولـــه تعـــالى : " **أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ وَالــشَّمْسُ وَالقمَــرُ وَالنُّجُــومُ وَالجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ العَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللهُ فَمَا لَــهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ** "[1] حيث تدرج بذكر أعظمها فائدة وظهوراً وهي الشمس ، ثم ذكر أقلها منفعة للناس وهو القمر ، ثم انتهى بالنجوم وهي أقل المذكورات منفعة وفائدة ، وهذا القول خاص بالأجرام السماوية.

أما عند حديثه عمن عُبد من دون الله في الأرض ، فقد ابتدأ بذكر أعظمها حجماً وهـــي الجبال ثم تدرج إلى الأقل حجماً وهي الأشجار ، ثم ذكر أقلها حجماً وهي الــدوابّ . مـــع ملاحظة أن الجبال والشجر أخذ منها الأصنام ، وأما الدواب فالتي عُبد منها البقر[2] .

والمقابلة واضحة وجلية بين المذكورات العلوية وهـــي الــشمس والقمــر والنجــوم ، والمذكورات الأرضية وهي الجبال والشجر والدوابّ .

---

[1] - الحج آية 17 -18

[2] - وانظر الألوسي ، روح المعاني مرجع سابق ، ج9 ، ص 208 . و أبو حيان ، البحر المحيط ، مرجع سابق ، ج7 ، ص 539 .

الخاتمة

توصلت الدراسة إلى النتائج التالية :

- تنوعت الحقول الدلالية في السورة ، وتناسبت فيما بينها محققة مقصد السورة وهو التقوى
- تنوعت الكلمات المفاتيح في السورة ، وترابطت مع الحقول الدلالية ضمن علاقة الجزء بالكل ، وعلاقة الترادف ، وعلاقة الاشتمال .
- قيام السورة على مبدأ التقابل والتضاد ، وذلك تناسبا مع ورود السجدتين ، وورود الأسلوب المكي والمدني فيها.
- تنوعت فواصل الآيات وتناسبت مع مدلولات آياتها ، وظهور ما يسمى بالفاصلة المفتاحية، والفاصلة التقابلية التي من صيغها التقابل المتضاد وغير المتضاد ، وفاصلة الموضوعات .
- كثرة ورود الاستعارة في السورة واعتمادها على الصور البصرية ، واللمسية ، والمعنوية ، والذوقية ضمن مستويات التبادل والكلية والصياغة غير المباشرة .
- عالجت الكنايات بعض المعاني المعنوية السلبية كالتكبر والهزيمة والخزي والبغض ، كما وضحت أنواع الموت الوارد في السورة كالموت السلبي ، والموت الايجابي
- جاء المشبه به في أسلوب التشبيه مفصلا ، ومفرداً ، ومركباً .
- أدى العدول الأسلوبي في التقديم والتأخير دلالات متعددة كالاهتمام ، والتخصيص ، والقصر ، والتهديد .
- تنوع توزيع الأفعال بين أسلوب القيد والإطلاق .
- تعدد أنواع التقابل في السورة ، كالتقابل بين المفردات والموضوعات ، والتقابل غير المباشر
- أدى التضمين الوارد بين الأفعال غايات متعددة من مثل الاستباحة والإثبات والمبالغة في ظهور الفساد .كما أدى التضمين بين الحروف دلالات متعددة كالاستعلاء والمعية والاستحقاق و الاستمرارية والتأكيد مع النفي ، والاستحالة .
- جاء التدرج الوارد في السورة متنوعاً من مثل التدرج التكويني ، والوجودي ، والتدرج البنائي المتداخل ، والتدرج من الخاص إلى العام والتدرج القيمي التقابلي .

ثبت المصادر والمراجع

أولا المصادر

القرآن الكريم

1. ابن الأثير ، ضياء الدين أبو الفتح نصر الله بن محمد ، ت 637هـ ، **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر** ، قدمه وعلق عليه أحمد الحوفي وبدوي طبانة ، نهضة مصر للطباعة والنشر ، الفجالة – القاهرة.
2. الألوسي ، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمد ، ت 1270 هـ، **روح المعاني** ،دار الفكر ، بيروت ، بلا ط ، بلا ت .
3. الأندلسي ، أبو حيان ، ت754 هـ ، **البحر المحيط في التفسير** ، طبعة جديدة بعناية الشيخ زهير جعير ، دار الفكر ، بيروت – لبنان ، 1992.
4. البقاعي ، برهان الدين أبو الحسن ، ت885 هـ ، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور** ، الطبعة الأولى ، وزارة الثقافة والشؤون الإسلامية ، قطر ، 1978.
5. البيضاوي ، ناصر الدين البيضاوي ، ت791 هـ ، **تفسير البيضاوي ، المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل** ، وبهامشه حاشية الشيخ أبي الفضل القرشي المشهور بالكازروني ، حققه الشيخ عبد القادر عرفات العشا حسونة ، بلا ط ، دار الفكر ، بيروت – لبنان ، 1996.
6. الجرجاني ، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن ، ت 471 هـ ،**أسرار البلاغة** ، قرأه وعلق عليه أبو فهر محمود محمد شاكر ، الطبعة الأولى ، مطبعة المدني ، القاهرة ، 1991 .
7. الجرجاني ، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن ، ت471 هـ ، **دلائل الإعجاز في علم المعاني** ،صحح أصله محمد عبده ، ومحمد محمود التركزي الشنقيطي ، ووقف على تصحيح طبعه وعلق حواشيه محمد رشيد رضا ، دار المعرفة ، بيروت ، 1978 .

8. ابن جني ، عثمان بن جني الموصلي ، ت393 هـ ، **الخصائص** ، حققه محمد علي النجار ، الطبعة الثانية ، دار الهدى ، بيروت – لبنان .

9. حوى ، سعيد ، **الأساس في التفسير** ، الطبعة الثانية ، دار السلام للطباعة والنشر ،1989 .

10. الخازن ، علاء الدين علي بن محمد البغدادي ، ت 741 هـ ، **تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل** ، وبهامشه تفسير النسفي ، بلا ط ، دار الفكر .

11. الدرويش ، محيي الدين ، **إعراب القرآن الكريم وبيانه** ،الطبعة الرابعة ، دار الإرشاد للشؤون الجامعية ،حمص – سوريا ، 1994.

12. الزجاج ، إبراهيم بن السّدي ، ت311 هـ ، **معاني القران وإعرابه** ، شرح وتحقيق عبد الجليل شلبي ، خرج أحاديثه علي جمال الدين محمد ، الطبعة الأولى ، دار الحديث ، القاهرة ، 1994.

13. الزركشي ، بدر الدين بن عبد الله ، ت794 هـ ، **البرهان في علوم القرآن** ، الطبعة الأولى ، دار الفكر ، بيروت – لبنان ، 1988 .

14. الزمخشري ، جار الله محمود بن عمر ، ت 538 هـ ، **الكشاف ،عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل** ،دار الكتاب العربي ،بيروت – لبنان .

15. أبو السعود ، محمد بن محمد العمادي ، ت951 هـ ، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم** ،الطبعة الثانية ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت – لبنان ، 1990 .

16. السكاكي ، سراج الدين أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر ، ت 626 هـ ، **مفتاح العلوم** ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، بلا ط ، بلا . ت .

17. السمّين الحلبي ، شهاب الدين أحمد بن يوسف ، ت 751 هـ ، **الدر المصون في علوم كتاب الله المكنون** ، تحقيق الشيخ علي محمد معوض وآخرون ، قدمه وقرضه أحمد محمد صيرة ، دار الكتب العلمية ، بيروت –لبنان ، 1994 .

18. السيوطي ، أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن ، ت911 هـــ ، **إتمـــام الدراية لقراء النقاية** ، الجامع لأربعة عشر علما ،في هامش كتاب **مفتاح العلـــوم** للسكاكي ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، بلا ط ، بلا دار نشر .

19. السيوطي ، عبد الرحمن جلال الدين ، ت911 هـــ ، **معترك الأقران فـــي إعجاز القرآن** ، ضبطه وصححه أحمد شمس الدين ، الطبعة الأولـــى ، دار الكتـــب العلمية ، بيروت – لبنان 1988 .

20. الطباطبائي ، محمد حسين ، **الميزان في تفسير القرآن**، الطبعة الأولـــى ، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت – لبنان ،1991 .

21. الطبري ، محمد بن جرير، ت 310 هـــ ، **جامع البيان عـــن تأويـــل آي القرآن**، ضبط وتعليق محمود شاكر ، تصحيح علي عاشور ، الطبعة الأولـــى ، دار إحياء التراث العربي ، 2001 .

22. طنطاوي ، محمد السيد ،**التفسير الوسيط فـــي القـــرآن الكـــريم** ، مطبعـــة السعادة ، 1985 .

23. الطوسي ، أبو جعفر محمد بن الحسن ، ت 460 هـــ ، **التبيان فـــي تفـــسير القرآن** ،تحقيق أحمد حبيب قصير العاملي ، الطبعة الأولـــى ،نـــشر مكتـــب الإعـــلام الإسلامي .

24. الطيبي ، شرف الدين ،ت 743 هـــ ، **التبيان في علم المعـــاني والبـــديع والبيان** ، تحقيق هادي عطية مطر الهلالي ،الطبعة الأولى ،عالم الكتـــب و مكتبـــة النهضة العربية ، 1987 .

25. ابن عاشور ، محمد الطاهر ، **تفسير التحرير والتنوير** ،الـــدار التونـــسية للنشر ، 1984 ،بلا ط .

26. ابن عطية ، أبو محمد عبد الحق بن غالب ، ت 541 هـــ **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز** ، تحقيق وتعليق عبد الله بن إبراهيم الأنـــصاري والـــسيد عبد العال السيد إبراهيم ، الطبعة الأولى ، الدوحة ،1988 .

27. الفخر الرازي ، فخر الدين محمد بن ضياء الدين ، ت 604 هـــ ، **التفسير الكبير ومفاتيح الغيب** ، قدم له : خليل محيي الدين ، دار الفكر ، بيروت - لبنـــان ، 1995 .

28. الفيروز أبادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب ،ت 817 هـ ،**القاموس المحيط** ، دار الفكر ، بيروت – لبنان .

29. القرطبي ،أبو عبد الله محمد بن أحمد ، ت671 هـ ، **الجامع لأحكام القرآن** ، الطبعة الخامسة ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، 1996 .

30. القزويني ، جلال الدين أبو المعالي محمد بن عبد الرحمن ت 739 هـ ، **الإيضاح في علوم البلاغة** ، شرح وتعليق محمد عبد المنعم خفاجي ، الطبعة الثالثة ، دار الجيل ، بيروت 1414.

31. القيرواني ، أبو علي الحسن بن رشيق ، ت 456 هـ ، **العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده** ،حققه وفصله ، وعلق حواشيه ، محيي الدين عبد الحميد ، الطبعة الخامسة ، دار الجيل ، بيروت – لبنان ، 1981.

32. ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي ، ت 774 هـ ، **تفسير القرآن العظيم** ، دار المعرفة ، بيروت – لبنان ، 1969 .

33. ابن منظور ، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم ، ت711 هـ ، **لسان العرب** ، الطبعة الرابعة ، دار صادر ،بيروت – لبنان ، 2005 .

ثانياً المراجع

1. بابتي ،عزيزة فوال ، **المعجم المفصل في النحو العربي** ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، 1992

2. البستاني ، محمود ، **القواعد البلاغية في ضوء المنهج الإسلامي** ، الطبعة الأولى ، مجمع البحوث الإسلامية ، 1414 هجري .

3. البهنساوي ، حسام ، **التوليد الدلالي** ، دراسة للمادة اللغوية في كتاب شجر الدر ، لأبي الطيب اللغوي في ضوء نظرية العلاقات الدلالية ، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، 2003 .

4. جيرو ، بيير ، **الأسلوب والأسلوبية** ، ترجمة منذر عياشي ، مركز الإنمـــاء القومي ، بيروت ، بلا . ط

5. حجازي ، أحمد عارف ، **الحقول الدلالية في القراءات القرآنية الصحيحة** ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، 2007 .

6. الحسناوي ، محمد ، **الفاصلة في القرآن** ، الطبعـــة الثانيـــة ، دار عمـــار ، عمان – الأردن ، 1986 .

7. الحسيني ، سيد جعفر ، **أساليب البيان في القرآن** ،الطبعة الأولى ، مؤســـسة الثقافة والإرشاد الإسلامي طهران ، 1413 – 1993.

8. الحلبي ، صفي الدين ، **شرح الكافية البديعية في علوم البلاغـــة ومحاســـن البديع** ، تحقيق نسيب نشاوي ، الطبعة الثانية ، دار صادر ،بيروت 1992 .

9. الخضري ، محمد الأمين ، **من أسرار المغايرة في نـــسق الفاصـــلة القرآنيـــة** ، 1994 ، بلا دار نشر ، بلا ط .

10. الزهرة ، شوقي علي ، **جذور الأسلوبية من الزوايا إلى الدوائر** ، مكتبـــة الآداب ، القاهرة ، بلا . ط . ت

11. الساحلي ، منى علي سلمان ، **التضاد في النقد الأدبي** ، منشورات جامعـــة قار يونس ، بنغازي ، 1996 .

12. السامرائي ، فاضل صالح ، **معاني النحو** ، الطبعة الثانيـــة ، دار الفكـــر ، عمان – الأردن ، 2003.

13. سليمان ، فتح الله ، **الأسلوبية مدخل نظري ودراسة أســـلوبية تطبيقيـــة** ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، 2004 .

14. السيد ، شفيع ، الاتجاه الأسلوبي في النقد الأدبـــي ، دار الفكـــر العربـــي ، القاهرة ، بلا ط ، بلا ت .

15. السيد ، شيخون محمد ، **الاستعارة** ، نشأتها وتطورها في الأساليب العربيـــة ، الطبعة الأولى ، دار الطباعة المحمدية بالأزهر ، القاهرة ، 1977.

16. الشايب ،أحمد ، **أصول النقد الأدبي** ، الطبعة العاشرة ، القاهرة ، 2002.

17. عباس ، فضل حسن ، **البلاغة فنونها وأفنانهـــا** ، الطبعـــة الأولـــى ، دار الفرقان ، عمان 1987

18. عصفور ، جابر ، **الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب** ، الطبعة الثالثة ، المركز الثقافي العربي ، 1992.

19. عصفور ، جابر ، **مجموعة أعمال جابر عصفور النقد الأدبي والصورة الفنية** ، الطبعة الأولى ، دار الكتاب المصري ، 2003

20. عكاوي ، إنعام فوال ، **المعجم المفصل في علوم البلاغة** ، مراجعة أحمد شمس الدين ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، 1992 .

21. عياد ، شكري ، **مدخل إلى علم الأسلوب** ، الطبعة الأولى ، دار العلوم للطباعة والنشر ، الرياض – السعودية ، 1982 ،.

22. فضل ، صلاح ، **علم الأسلوب** ، مبادئه وإجراءاته ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الطبعة الثانية ، بلا . ت

23. القرعان ، فايز عارف ، **التقابل والتماثل في القران الكريم** ، الطبعة الأولى ، المركز الجامعي للنشر ، إربد ، 1994

24. القطان ،إبراهيم ، **تيسير التفسير** ، ضبطه عمران أحمد أبو حجيلة ، الطبعة الأولى ، عمان – الأردن ، 1983

25. قطب ، سيد ، **التصوير الفني في القرآن الكريم** ، الطبعة الثامنة ، دار الشروق ، بيروت ،1983.

26. قوقزة ، نواف ، **نظرية التشكيل الاستعاري في البلاغة والنقد** ، الطبعة الأولى ، وزارة الثقافة ، عمان – الأردن ، 2000 .

27. لاشين ، عبد الفتاح ، **من أسرار التعبير في القران** ، الفاصلة القرآنية ،دار المريخ ، الرياض ، 1982 .

28. المراغي ، احمد مصطفى ، **علوم البلاغة** ، بلا . ط ، دار القلم –بيروت – لبنان

29. المسدي ، عبد السلام ، **الأسلوبية والأسلوب** ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا ،تونس.

30. المشني ، مصطفى إبراهيم ، **التخييل** ، الطبعة الأولى ، دار الرازي ، عمان – الأردن ، 2001.

31. مصطفى ، إبراهيم وآخرون ، مجمع اللغة العربيـــة ، **المعجـــم الوســـيط**، أخرجه ، وأشرف على طبعه عبد السلام هارون ،المكتبة العلمية ، طهران بلا ،ط، ت .

32. الميداني ، عبد الرحمن حسن حبنكة ، **البلاغة العربية أســـسها وعلومهـــا وفنونـها** ، الطبعة الأولى ، دار القلم ، دمشق ، 1996 .

33. الهتاري ، عبد الله علي ، **الإعجاز البياني في العدول النحوي السياقي في القرآن الكريم** ، الطبعة الأولى ، دار الكتاب الثقافي ، اربد – الأردن ، 2008 .

34. هاف ، كَراهم ، **الأسلوب والأسلوبية** ، ترجمة كاظم سعد الـــدين ، العـــدد الأول ، دار آفاق عربية ، بغداد – العراق ، 1985 .

الدوريات

- حسام محمد أيوب " الأسلوبية في إطارها النظري "مجلة جرش الثقافية ، العدد التاسع والعاشر ، سنة 2008
- الشاذلي الهشيري ، " الالتفات في القرآن الكريم " **حوليات الجامعة التونسية** ، العدد 32 ، 1991 .
- موريس أبو ناصر ، " الأسلوب وعلم الأسلوب " **مجلة الثقافة العربية الليبية** ، العدد 9 ، سنة 1975 .
- موسى ربابعة ،" الانحراف مصطلحا نقديا "**مؤتة** للبحوث والدراسات،المجلد العاشر، العدد 4 ،1995 .